

تأليف : لينـا كيلانى
رسوم : شريف رضـا

غابة الأسرار

دار المعارف

أولادنا

(٤٨)

غابة الأسرار

تأليف : لينا كيلانى
رســوم : شريف رضا



دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

كيلانى ، لينا .
غابة الأسرار .
تأليف : لينا كيلانى . رسوم : شريف رضا
القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٨ .
٩٦ ص ؛ ٢٠ سم . (أولادنا ؛ ٤٨١)
تدمك ٠ - ٧١٩١ - ٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ - القصص العربية ٢ - قصص الأطفال .
أ - رضا ، شريف (رسام) ب - العنوان . جـ - السلسلة
ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الإيداع ٢٠٠٨ / ٣٩٢٥ ٢/ ٢٠٠٧ / ٥٧

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف : ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

رحلة صيد

عندمَا تجمّع بعضُ الأصدقاءِ منْ رجالِ تلكَ المدينةِ الصغيرةِ عَلى حدودِ الغَابةِ منْ أجْلِ رِحلة الصيدِ، كانُوا مَسْروورينَ، لأنهَا الفرصةُ السنويةُ التِى يَخرجونَ فيهَا للصيدِ فى الغابةِ ومَا حولهَا، ولأنهُمْ أيضًا قررُوا أَنْ يتوغّلوا فى الغابةِ بعدَ أَنْ جمعُوا المعلومَات اللّازمة عنهَا حمايةً لهُم منْ أخطارهَا، فهِى غَابةٌ متنوعةُ الأشجَار وَالنباتَات، وحيوَاناتها أليفة، ولا تسكنهَا الوحوشُ ولَا الذئابُ، أو الأفاعى والثّعابين، لكنَّ صُعوبةَ ممرَّاتهَا وضيقهَا وَكثرة الصخور التِى تحيطُ بهَا كانتْ تمنعهُم منَ التوغُّلِ فيهَا لا سيمَا وأَنَّ بعضًا منْ تلكَ الصُّخور تسدُّ فتحَاتِ مغَارَاتٍ مجْهولة لَمْ تكتشفْ بَعْد.

وبينمَا جماعَةُ الصَّيد يستعدُّونَ للانطلاقِ قبلَ الفجرِ كانَ (عامر) مُسْتيقظًا من نومهِ ومتحفزًا، وهو يروحُ ويجئُ ليلفتَ نظرَ أبيهِ لعلَّهُ يصطحبهُ معهُ للصَّيْد.

قالَ الأب:

– ماذَا يَا عامر؟ هلْ لازلتَ مصرًّا عَلى الذهابِ معنَا؟

أجَاب عَامر:

– كلَّ الاصــرارِ يَــا أَبِــى .. وقــدْ هيَّــأتُ كلَّ ثيابِى وَلوازمى، ولمْ يبقَ إلا أنْ تسمحَ لِى بالانضمامِ إِليكم.

قال الأب:

– وهلْ إِذَا سمحتُ لك سأكونُ واثقًا منْ أنكَ لنْ ترتكبَ خطأً مَا؟

قال عامر:

– أَيَّ خَطَــأ؟ تقصدُ فِى الصيدِ؟ أَنَا تدربتُ معكَ طوالَ الشــهرِ الماضِى، ومَا عَدا ذلكَ لَا أعتقدُ أننِى سَــأُخطىءُ فِى شىءٍ آخرَ.

قال الأب:

– آمــلُ ذلكَ يَا بنىَّ .. فأنَا لا أريدُ أَنْ أشــغلَ أَصدقائِى بشأنكَ، أَوْ أَنْ تكونَ عائقًا عنْ برنامجِ الرحلةِ. ولولَا أَنَّ العمَّ فُؤاد سَيصْطحبُ ابنهُ فادِى لمَا جَازَفتُ أنْ تذهبَ معِى.

هتفَ عامر بفرح:

– فادِى .. سيذهَبُ معنَا؟ هذَا عظِيم.. هذَا رائعٌ.

وأسرعَ يقبِّلُ والدهُ ويهمسُ لهُ:

– لا تظنَّ أنَّ فادِى أفضَل منِّى فِى شىءٍ .. حتَّى فِى الصيدِ، رغمَ أنهُ ابنُ زعيمِ الصيَّادِينَ، ثمَّ لا تنسَ أنهُ أكبرُ منِّى سنًّا.

ضحكَ الأب، ودفعَ بابنهِ منْ ظهره، دفعًا لطيفًا فانطلقَ عامر مثل صَاروخ وهو يصيحُ حَتَّى أَيقظَ إخوتهُ الصِّغار:

– سأذهبُ مَعَهم إلى الصيدِ .. سأذهبُ مَعَهم.

ومرَّ مثلُ البرقِ نحوَ أغراضِه المكدَّسة وراءَ بابِ غُرفته فحملهَا، ولمْ ينسَ أنْ يثبتَ عَلى كتفهِ آلةَ التصويرِ، وَأَنْ يدسَّ مذياعًا صغيراً فِى حَقيبةِ يدهِ القُماشية الخَفيفة التِى تَحْتوى عَلى أَشياءَ كثيرةٍ منْ بينهَا أقلاَم، وَأوراق، وَنظَّارة شمسيّة، ومنظار مُكبر، وكَشَّاف، وبطَّاريات خَاصَّته.

انطلقتِ المجموعةُ، وَكلٌّ منهمْ يُنَادِى كلْبَه، أوْ يثبتُ بندقيَّة، أَوْيتفقدُ الخرطُوش وعدَّة الصيدِ، وَأسرعَ الوَلَدَانِ

(عامر وفادى) بالانطَلاق نحوَ طريقِ الغابَةِ.

صرخَ والدُ عَامر بابنِه:

– هيه .. عَامر .. لماذَا تسبقنَا معَ رفيقكَ .. هلْ بدأْنَا بالمتاعِبِ؟ أَلَمْ نتفقْ منذُ قليلٍ أنْ لاَ أخطَاء؟

توقــفَ عامر فِي مَكانه بلْ تجمَّد .. بينمَا ارتدَّ فادِى إلى الورَاء، فقالَ عَامر:

– إنهَّــم يُنَادوننَا لنُصَلــى مَعَهُــم .. أَمْ ظننتَ أَنهم سيعيدُوننَا منْ حيثُ أتينَا؟

وضحــكَ الرفيقَــان. وَما هِىَ إلاَّ دقَائــق قَليلة، حتَّى بــدأتِ الأقدامُ تدبُّ فــوقَ الأرضِ بأحذيةِ الصَّيد الثقيلةِ طَويلة السـيقَان ... وَمَا لبثتِ الكلابُ أَنْ بدأَت تتناوَشُ وتهزُّ أَذْيَالهَا، وتصدرُ نُبَاحًا مُتَقَطعًا.

قَال عَامر:

– سنسِيرُ إلى جِوَاركم يَا أَبِى .. ليسَ قبلكُم ولَا بعدَكُم .. وإنَّما سنبتعدُ قليلًا عنكُم وَلكنْ بمحَاذَاتكم.

ابتسمَ الأَبُ وقالَ مُخَاطبًا وَالدَ فَادى:



أسرع عامر وفادى بالانطلاق نحو طريق الغابة...

– أولادنَــا يَا أَخِى فؤاد لَا يريدونَ أَنْ يشــاركونَا فى أحاديثنَا.

تدخَّلَ فادىِ وقَال:

– عفوًا يَاعــم .. لم نقصِدْ ذلكَ .. ففِى أحَاديثكُم دائمًا فائَدةٌ لنَا لكنهَا المرةُ الأُولىَ التِى نخرجُ فيهَا معًا أنَا وعَامر للصيدِ ولَا نريدُ أَنْ نخطئَ .. أليسَ هذَا رأْيُك أيضًا؟

وهكَذا بدأتْ رحلةُ الصيدِ .. وعَامر وفادِى سعيدَان جدًا، فتعانقتْ أيديهمَا كأنمَا يخشيانِ أَنْ يطيرَا منَ الفرحِ.

قَال عَامر:

– هلْ تريدُ الحقيقةَ يا فادِى .. أنَا أخافُ أنْ أطلقَ بندقيتى فأخطىءَ الهدَف. لمْ أَتمرَّنْ بمَا فيهِ الكفَاية، ثُم إننِى لَا أحبُّ رؤيةَ الطيورِ وهىَ تتخبطُ على الأرضِ بدمائهَا.

قَال فَادى:

– لكننَا الآنَ ذاهبونَ لصيدِ البطِّ فِى البحيرةِ الصغيرةِ القريبةِ قبلَ شُروق الشــمسِ، وفِى هذِه الحالةِ لَنْ تَرَى الدمَ.. لأنهُ سيتحللُ بالماءِ .. وَلاَ البَطُّ أيضًا لأَنَّ الكلابَ

ستغطسُ وتأتِى بهَا.

قَال عامر:

– وَلوِ اضْطرَّ الأمرُ هلْ سَتسبحُ الكلابُ وراءَ الصيدِ؟

أجاب فادى:

– طبعًا .. أليسَــت كلابًــا مُدرَّبَة؟ ثُــم إنَّ الاصواتَ ستدلهَا على مكانِ الصيدِ سواءٌ أخطأَ الصيادُ أمْ أصابَ.

ولمْ يشاركْ الولدانِ عَامر وفَادى فِى صيْدِ البطِ، بلْ ظلَّا معَ الدليلِ الحَارس ليساعِدا فِى نَصْــبِ الخيامِ انتظارًا للصيادينَ بعدَ امتدادِ الشمْس.

وعنــدَ الضُّحى اســتأذنَ عَامــر وفَادى مــنْ أبويهمَا للانطلاقِ نحوَ الغابةِ رَكْضًا طلبًا للرياضَة وللاكتشَاف لاَ أكْثر. قالَ والدُ فادِى زعيمُ الصيادينَ:

– ولمــاذَا لَا تصطادَان أيضًا؟ افعَلا ... ولكنْ لا تصوبَا نحوَ أعشــاشِ الطيُّــور، وَلَا عَلى تلكَ التــى تتنقلُ بينَ الأغصــانِ، وإنمَا نحوَ التى تبــدأ تحليقهَا بعيدًا .. هذَا حفاظًا عَلى الأعشاشِ وهوَ منْ قواعدِ الصيدِ أيضًا.

أضافَ والدُ عَامر:

– وَما أظنُّ أنَّ مِنْ حيوانِات الغابَةِ ما يثيرُ اهتمامكُم أكثر منَ الأَرَانب.. وهذِه لا تحتاجُ التَّصْويب إلى الأَعْلى. ومعَ ذلكَ فالحذرُ مطْلوب .. حَتَّى لَايكونُ هنَاكَ اعتدَاء عَلى الأبريَاءِ.

قَال فادِى بجرأةٍ:

– مثل ماذَا يَا عم؟

قَال والدُ عَامر:

– مثل حيوانٍ لَا فائدةَ منهُ سَوَاء منْ لحمهِ أو منْ جلدهِ.

قَال فادى مخاطبًا والدَه:

– ولكنكَ يا والدِى تقولُ إنَّ الصيدَ يعْنى مُتعة الصيدِ فقطْ .. وليسَ الفائدَة. قَال والدُ فادِى:

– للصيدِ فوائــدُ كَثِيرة غير اللُّحــوم وَالجُلود .. إنهُ تدريــبٌ عظيــمٌ علــىَ التصوِيب نحوَ الهــدفِ .. وعلى السرعةِ فِى التســديدِ والتحدِيد .. وعَلى الاصرَار وَفرح الانتصَار .. وَأُمور أُخرى كَثِيرة ســتعرفونهَا فيمَا بعْد، المهــمُّ ألاَّ نُــؤذِى الطبيعةَ دُونَ مُبرر، ولا نتســببُ فِى

تعذِيب مخْلُوقاتـهَا.

لمْ يلبث الرفيقَان عامر وفادى أنٍ انطلقَا نحوَ الغابَة.

وبعدَ حوالِى نصفَ سَاعة أَوْ أكثر مِنْ غيابِهِمَا، سُمعَت طلقاتٌ مُتَعددة منْ جهتهمَا.

ولمْ تكنْ أىُّ طيورٍ قدْ فُزِعت .. فما معْنَى ذلكَ؟

قَال والدُ عَامر:

– لابدَّ أَنْ نسيرَ باتجاههمَا لنكتشِفَ الأَمْرَ.

أضَاف والدُ فَادى:

هو طريقنَا نفسُهُ عَلى أىَّ حَالٍ.

مغامرة دليلها غزالة

عندمَا أخذَ عامر وفادى يتوغّلانِ فى الغابةِ انقطعَ الحوار بينهُمَا، وكلٌّ منهمَا مُتيقظ حذرٌ يتفقّدُ موقعَ قدميْه، ويتلفتُ فِى كل الجهَات كأنمَا هناكَ مُبَاغتة مَا.. الأغصانُ كَثِيفة، والأشجارُ يلتفُّ بعضهَا حولَ بعضٍ، والأرضُ طرِيَّةٌ مملُوءَة بالأعشَاب والنباتاتِ البريَّةِ المزْهِرَة.

وَلا أصوَات ســوَى خفْق الأجنحَة لبعْض الطيورِ الَّتِى تحطُّ فجأةً عَلى الأشجَار، أو تطيرُ عنهَا، وقليلٌ جدًا منْ هذهِ الطيورِ التِى تصدرُ أصواتًا كالأنغَام .. بعضُ الأرانبِ البريَّةِ كانتْ تقفزُ بسرعةٍ وتغيبُ مثل لَمْح البصرِ، كيفَ يمكنُ اصطيادهَا، وهى تمرُّ هكذَا وهمَا جَاهلاَن بمسَالكِ الغابةِ ومخَابئِ حيواناتهَا وخاصَّة الأرانبَ؟

– لا بــأسَ ..– قال عامــر فى نفسِــه – غايتنَا الآن الاكتشَاف فقطْ .

عندمَا قالَ فادى بعبارةٍ مُخْتصرةٍ فيهَا توتُّرٌ وقلَق:

– أظنُّ أننَا أخطأْنَا الاتجَاه .. يجُب أَنْ نعودَ يا عامر.

وتوقفَ الإثنان مُتسمرينَ فِى مكانهَما عندمَا تحركتْ أغصانُ أشجَارٍ صغيرةٍ، ولمحَا عيونًا لامعةً تنظرُ إليهمَا كأنمَا هِى عيونٌ بشَريَّة.

أشَــار فــادِى لعامر أنْ يصمــت واضعًا سَــبّابتهُ فوقَ فمِه، بينمَا صوَّبَ بندقيتهُ جيدًا نحو الهدفِ.. ومَا هِىَ إلاَّ لحظَات حتَّى ســمعَ دَوِىّ الطَّلقْــة واضْطربت أغصَانُ

الأشجارِ كأنمَا وقعَ شيءٌ عَلى الأَرْض.

قال فادى:

– إنهَــا غزالةٌ .. غزالــةٌ صغيرةٌ .. هَيَّا لنســحبَهَا بسرعَةٍ.

وهــرولَ الإثنانِ نحوَ الجهـةِ المطلُوبةِ فلمْ يعثرَا عَلى الغزَالة.. وإنمَا عَلى خيطٍ رفيعٍ منَ الدمِ يصبغُ العشْب.

قال فادى:

– لقدْ هَرَبَتْ .. مَا أسرعَ جرْى الغزلاَن.

أجاب عامر:

– لكننَا لم نســمعْ وقعَ حوافرهَا .. ولا نحنُ لمحناهَا .. ثم إنهَا جريحَة بدليِل الدمِ.

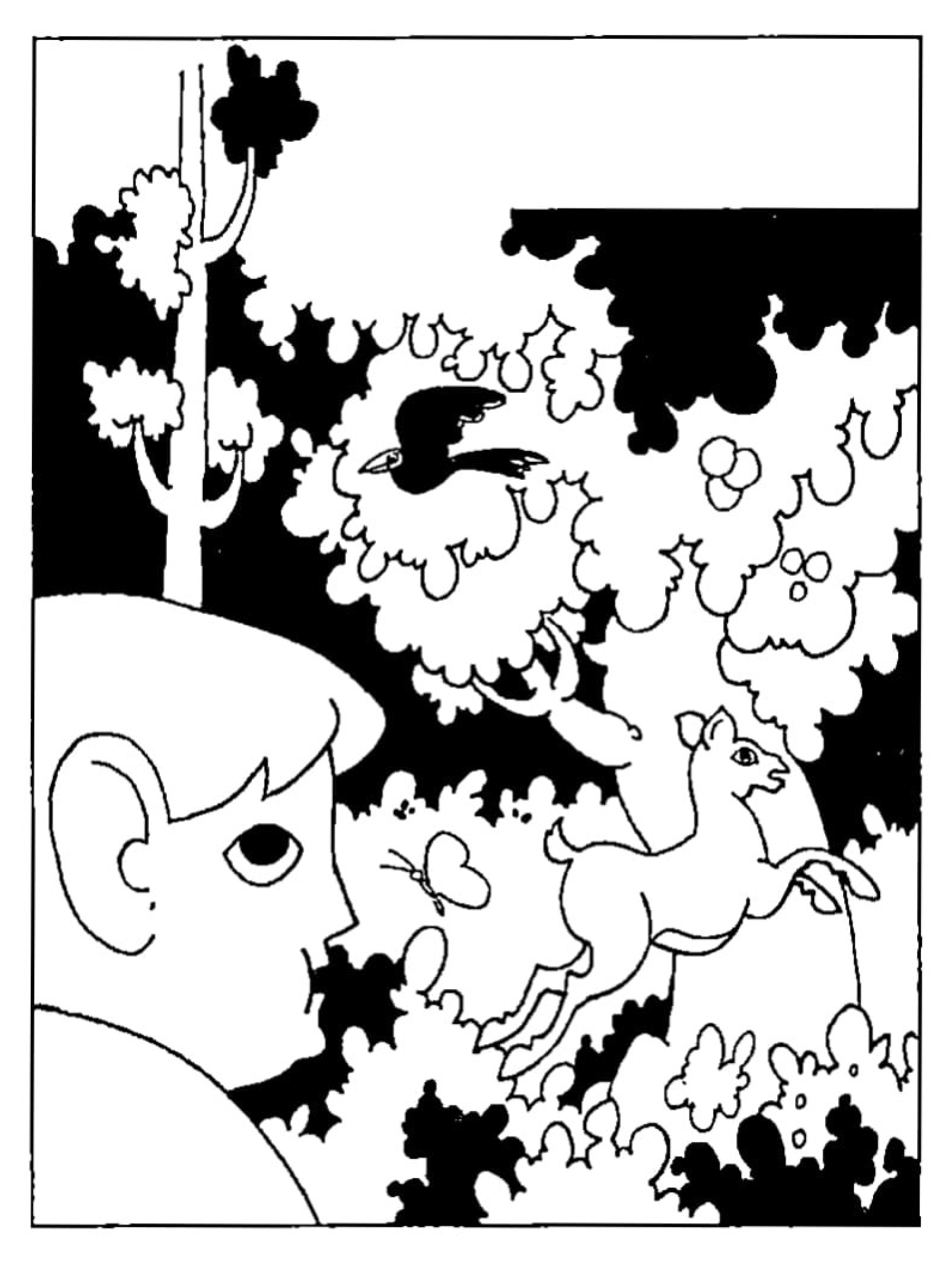
هَل هى جِنِّية وقدِ اختفَت؟

ضحكَ فادى وَقالَ:

– ما علينَا إلا أن نتبعَ آثارَ الدمِ لنصلَ إلى مخبئهَا.

أجاب عامر:

– وإذَا لمْ نعثر عليهَا سنكونُ أَوْغلنَا فِى الغَابةِ أكَثر.



قال فادى: إنها غزالة .. غزالة صغيرة.

قال فادى:

– معكَ حــقٌّ .. يجبُ ألا نتوغلُ فــى الغَابة. لكنهَا صيدنَا ويجبُ أنْ نحصلَ عليهِ.

وبعدَ مسَــافةٍ غيرِ قَصيرة لمحَا عددًا منَ الغزلانِ تتجهُ نحوَ مغَارات صغيرةٍ فى أجزاء شبْه مكْشوفة منَ الغابةِ فلمْ يعدْ لديهمَا شكٌّ فِى العثور عَلى غزالتهمَا المنْشودة. أسْرعَ فَادِى الخُطى بينمَا عامر يتعثَّر وراءَه وهوَ يكشفُ مَا حوْله. عندمَا وصلَا كانتْ أمامهمَا سلسلةٌ منَ المغَاراتِ.. تُرى إلى أىٍّ منهَــا لجأتِ الغزَالة؟ وبمَا أنَّ الطَّقــسَ كانَ خريفًا فقدْ تجمَّعت فجأة غيومٌ ســودَاء، واكتسَت معهَا الغابةُ بثوبٍ قاتــم. وخوفًا منَ المطرِ هرْولَا ليحتميَــا بالصُّخور ... ومَا هِىَ إلَّا فترة حتَّى هطلَ المطرُ بغزارةٍ فأصبحَ مِنَ المستحيلِ عليهمَا الرجُوع حتَّى منَ الطريق نفسهَا التى سلكاهَا.

قالَ فادى:

– لم يعدْ لدينَا سوَى أنْ نختبئَ فِى إحدَى هذِه المغارَات حتَّى الصَّبَاح .. لقدْ غابتِ الشمسُ.. ولنْ نضيِّعَ أنفسنَا.

أطرقَ عامر رأســهُ - خجلًا - فهوَ الــذِى أَصرّ عَلى اللحَاقِ بالغزَالة .. لكنَّ المحنَ -عادةً- هيَ التِى تجعلُ الناسَ يتآزرونَ ويتعاونُونَ. أضاءَ عامر بطّاريته الكاشفَة، وتفقّد إحْدى المغَاراتِ وقالَ:

- أظنُّ أَنَّ هذِه فَارِغة.. مَا رأيكَ أنْ ندخلهَا؟ إنَّ فِى حقيبتِى كلَّ ما يلزمُ لليلةٍ كهذهِ، ومعِى بعضُ الشطائِر أيضًا.

قال فادى:

- لكنَّنى لَسْــتُ جائعًا .. وأظنُّ أنهَا ستجلبُ نحونَا الهوَام والحشرَات وربمَا الأفاعِي أيضًا.

رد عامر باضْطِراب:

- إذنْ سأرميهَا بعيدًا.

ثمَّ لوَّحَ بكيسٍ وَرقيٍّ سميكٍ، وأطاحَ بهِ إلى قلبِ الغَابة.

قال فادى:

- لنجمعَ بعضَ الأغصَان اليابسةِ قبلَ أَنْ يُبَللهَا المطَرُ .. لا بدَّ منْ إشعالِ النار حتَّى نعرفَ إلى أىِّ مدَى ندخلُ فى المغَارة وإلاّ اختنقْنَا.

قال عامر:

- والنارُ؟ أليسَ فيهَا خطُورة؟

أجابَ فادى:

- ولكنهَا ضَرورة.

جمعَا عيدانًا دقيقةً، وَانْســلاَّ مثلَ أَرْنبيْنِ مذْعوريْنِ نحوَ المغارة، وفَادى يقولُ:

- اخفضْ رأســكَ حتَّــى لا ترتطمَ بالسَّــقفِ. ماهذهِ المشكلةِ يَا إلهِى؟

وبعدَ عدَّةِ خطوَات ورائحَة غَرِيبة تنتشــرُ معَ ظلالِ الضَّوء الخَافت تنهَّدَ فادِى بِارْتياح:

- إنهَــا مَغَــارة نظيفَــة.. وهــذِه رَائحــة الرطُوبة والمطَر.

قال عامر:

- لماذَا لا نَسُــدُّ فتحةَ المغارةِ بحجَر حتَّى لا يدخلَ إليهَا حيوانٌ مَا مثلًا؟

فكَّر فادى قليلًا وقالَ:

- لاَ .. لاَ.. فلـِو انغَرسَ الحجـرُ فى الأرضِ لصعبَ علينَا إزَاحته، ثُم إننَا لنْ ندخلَ عميقًا فِى المغارة.

إذَنْ .. فكلُّ الاحتياطَاتِ أصبحَتْ مَأْخوذةً بالاعتبَار..

ودخَـلَ الصديقانِ إلى المغَارة ليَمْضِيَـا ليلةً هىَ مُغَامرة بحدِّ ذاتِهَـا .. الأعصابُ مشْـدودَة .. والآذانُ تلتقطُ أىَّ حركـةٍ أو صوتٍ .. والنومُ يُراودُ العيـونَ ولكنْ لاَ نَوْم.

صمتٌ ثقيلٌ لاَ يقطعهُ سوىَ صوتِ الهوَاء فِى الخَارج وهوَ يدخلُ دوَّامات كالصفيرِ فِى فتحَةِ المغَارة.

عامر يقولُ عَلى استحْياءٍ أَنَّهُ السببُ فِى كلِّ مَا جرَى ويجرى:

هَلْ ستنامُ يا فَادى؟

يقولُ فادى:

- لاَ ... نَمْ أنتَ. سأحرسكَ حتَّى تستيقظَ ثمَّ أنامُ أناَ.

يتشجعُ عامر فيقُول:

- أَنا لنْ أنامَ قَطْ .. سأســهرُ حتَّى الصبَاح. وَلوْ أَردت أنتَ أَنْ تنامَ فافْعَل.

وسادَ الصمتُ مرةً أُخرى. وفجأة قَال عَامر:

– هَلْ تسمعُ مَا أسمعهُ يا فَادى؟

قَال فادِى بغيْرِ اكترَاثٍ:

– لا شــكَّ أنهَا أصــواتُ الهوَاء وهَو يلعبُ بأشــجَار الغَابة .. هلْ أنتَ خَائف؟

كانَ عامر يرتجفُ ومعَ ذلكَ قالَ:

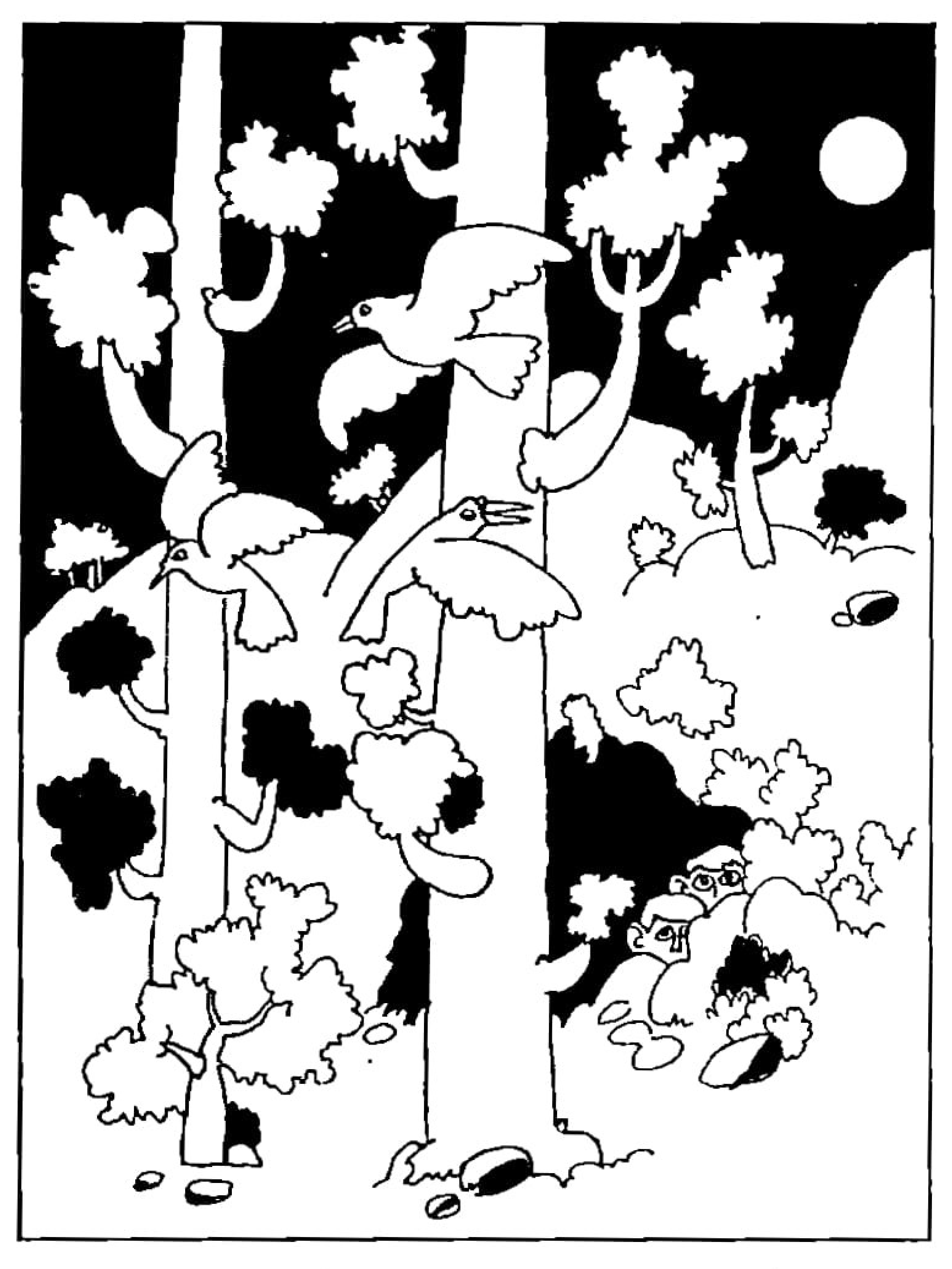
– لاَ .. لاَ .. لستُ خائفًا لماذَا أخافُ؟ لكنَّهَا أصواتٌ كأنهَا بشريَّة هِىَ أنينٌ أو صُراخ .. لاَ أَدرِى.

رد فادى:

– كنْ عاقلًا ومنْ سَــيفعَلُ ذلكَ فى هذَا الوقْتِ .. وَفِى مثْلِ هذَا المكانِ؟

لمْ يقتنعْ عامر لكنهُ صَمَتَ.

ومضَى الليلُ ثقيلاً بطيئًا مثل سلسلةٍ منَ الرصاصِ تَسْقطُ فوقَ حجــرٍ صَلْد. وعنــدَ خُيوط الفجرِ الأُولــى وفَادى قدْ أخذتهُ إغفَاءَةٌ انسلَّ عامر، والخوفُ لا يزالُ يضطربُ فِى قلبهِ، إلىَ خارجِ المغَارة.. والأصواتُ لا تزالُ تقلقهُ وتثيرُ



إنها أصوات الهواء وهو يلعب بأشجار الغابة.

فضُولــه عندمَا وقفَ أمامَ المغَــارة مُنتصب القامَة يتنفَّسُ هواءً مُنْعشًا ، ونجمةُ الصبح لا تزالُ تبرقُ. بدتِ الأصواتُ واضحةً جدًا ، وهىَ تصدرُ عَنْ شَجرةٍ ضخمةٍ عِمْلَاقة.

ارتدَّ فزعًا إلى المغَارة وهوَ ينَادى:

- فادى.. فادى .. الشجرةُ تصرخُ. تعالَ وانظُر.

وقامَ فادِى متثاقلاً وَكانت المفاجَأةُ الكُبرى.

مفاجآت

تســمَّرَ كلٌّ مِنْ فادِى وعَامر أمــام المغَارة ، ولا صوتَ يصــدرُ عن الشــجرةِ ولاَ عَنْ أىِّ شــىءٍ آخــرَ .. فالغابةُ هادئةٌ ســاكنةٌ بعدَ العَاصفةِ ماعدَا خفْق أجنحَة الطيورِ المغَادرة أعشاشهَا أو المُغَردة.

قالَ عامر:

- أُقســم لكَ يا فَادِى أَنىِّ ســمعتُ تلكَ الأَصواتِ ومنَ الشجرةِ نفسِهَا أيضًا.

مسحَ فادى فوقَ رأسهِ كأنمَا يفيقُ لتوِّهِ الآنَ وقالَ:

– هيَّا نأخذُ أغراضنَا منَ المغارةِ ونرحَلُ ... الشمسُ ستدلُّنَا عَلى اتجاهنَا عندَما تَشرقُ.

وشــعرَ عامر بالخِزْى، هلْ كانَ واهمًا إلى هذَا الحدِّ؟ أَمْ أنَّ هذهِ اللَّيلة فى المغَارة شَوَّشــت ذهنَهُ لكنهَا حَاسَّة السَّمع .. وَهُو لا يشكُّ فِيهَا أبدًا!

وعندمَا وقفَ الإثنانِ معًا أمامَ المغَارة ليحددَا طريقهمَا منْ جديدٍ والصبحُ يَنْثر نورَهُ الفِضى سمعًا صوتَ حوافرٍ دقيقةٍ منْ مغَارةٍ قريبةٍ جدًا منْ مغارتهمَا، لبثَا جامديْنِ حتَّى خرجَت بعضُ الغزلانِ بعيونٍ واســعةٍ حــذِرة، تتفقدُ مَا حولهَا ومنْ بينهَا الغزالــةُ الجريحَة التِى كانتْ تحكُّ جســدهَا بحَافةِ المغَارة، وقد بدتْ سَــليمَة تمامًا، وضــعَ فادى إصبعهُ عَلى فمهِ إشــارةً لعَامر ألا يصدرَ صوتًــا عندمَا رأَى الغزالةَ تمرِّغُ جسدهَا فوقَ أعشــاب طَريَّةٍ صَغيرةٍ عَلى الأرضِ، ثم تنهضُ واقفةً وكأنهَا تُعطى إشارةً للقَطيع بأنهَا مُستعدةً للانطِلاَق.

سَارت الغزالةُ بطيئةً، ثُم لمْ تلبثْ أَنْ أسرعتْ عندمَا قفزَ أرنبٌ بَرِّى أمامهَا، وعندَ ذلكَ اقتربتْ منَ الشــجرةِ

العمْلاقة فَصَدرت تلكُ الأصواتُ الغريبةُ التِى قَال عنَها عامر أنهَا صُرَاخ.

قال عامر:

– هَل اقتنعــتَ الآن يا فادِى؟ أَنــهُ لَا توجدُ أَصْواتٌ تصدرُ عنِ الشَّجرِة؟

قال فادى:

– فعــلاً.. ولعلَّ ذلكَ بســبِب الحركــةِ. لنتقدمَ إذنْ وسَنرى ماذَا ستكونُ النَّتيجَة.

ولكنهمَا لمْ يستطيعَا الوصُول إلِى الشجرةٍ العمْلاَقة، لانَّ مفاجأةً أُخرى كانتْ بانتظارهمَا.

فالأطعمةُ التِــى رماهَا فادِى ليلًا كانتْ وَليمة لأعدَادٍ كبيــرةٍ منْ فئرانِ الحقولِ التِى أخذتْ تفِرُ مذْعورةً، ومَا إنِ اقتربَــا أكثر حتَّى فُوجئَا بجمُوعٍ منَ النَّمْلِ الشَّــرِس وكأنهُ ينبعُ منَ الأَرضِ.

قالَ فادى:

– يجــبَ أَنْ ننتبَه يا عامر .. هذَا النملُ مُؤذٍ، ويمكنُ

أَنْ يتلبــسَ بثيابنَا وأحذيتنَا أو ينقــلُ إلينَا الجراثيمَ، علينَا أَنْ نبتعدَ مِنْ هنَا وبسُــرعة. مَا شأننَا بالشَّجرة إنْ كانتْ تصرخُ أوْ كانتْ تضحكُ وتقهْقِهُ؟!

قالَ عامر بفرح:

– المهمُّ أننَا شَــاهدْنَا ظَاهرة عجيبةً لا تصدَّقُ، يمكنُ أنْ نضيفهَا إلى معلوماتنَا.

أجابَ فادى ساخرًا:

بلْ إلىَ مفَاجآتنا.

وأخذَا يفكرانِ فِى سرِّ الشجرةِ العمْلاقة، ولماذَا تصدرُ عنهَا تلكَ الأَصْوات، قالَ عَامر:

– هلْ يمكنُ أنَّ النملَ يحفرُ فى الأرضِ حولهَا جيوبًا تدخلُ إليها الريحُ فتصفِّرُ هكذَا؟

قال فادى:

– ولمــاذَا لا يكــونُ هــذَا بفعْــل الفئــرانِ والأرانبِ وجحورهَا أَكْبر وسراديبهَا أطْول؟

قَال عامر:

- عَلـى أَيِّ حالٍ لا بـدَّ أنْ ألتقطَ صُورةً لهَا حتَّى تظلَّ تذكارًا بينَ أيدينَا.

قَال فادى:

- هيَّا بسُـرعةٍ .. ولكنْ منْ أَيِّ زاويةٍ ستلتقطُ الصُّورة؟ إنَّهَا تبدُو وكأنهَا عَائلة منَ الأشـجارة وليسَـت شَـجَرة واحـدَة .. ألاَ تَـرَى هذِه الأغْصَان المغروسَـة فِي الأرض وكأَنَّ كلًّا منْهَا شَجَرة؟

والتقطَا صورةً للشـجرةِ، ثم مضيَا فِي اتجاهِ الشمْس التِي تشـرقُ منْ حيثُ أتيَا بالأمسِ عندمَا سـمعَا صَدَى ضَحِكَات.

لَمْ يجرؤْ عامر عَلى أنْ يلتفتَ، لكنَّ فادِى قالَ لهُ وهو يمسكُ بذرَاعه:

- أنا سألتفتُ هلْ تظنُّ أننَا فِي أرضِ الجَان؟

وخطفَ بصرهُ بسـرعةٍ إلـى الوراءِ فرأى قسـمًا منْ جذعِ الشجرةِ الأم منخورًا عَلى شكلِ وجْه لامرأةٍ عجوزٍ وكأنَهَا تضْحكُ.

قال بذُعْرٍ:

- انظرُ يا عامر .. انظُر الشجرةَ العجوزَ تهزأُ بنَا.

ومَـا أن التفتَ عامر ورأى المنظـرَ حتَّى صرخَ وولَّى هاربًا ليسبقَ فادى، ثُم ارتمَى على الأرضِ لاهثًا.

قَالَ فادى:

- لـمْ أعرفكَ جبانًا إلى هذَا الحَـدِّ .. هلْ ظننتَ أنَّ الشجرةَ ستجرِى وراءَنَا؟!

وعندَ آخرِ كلمةٍ لفظهَا سمعَ مَنْ يردِّدُ صوتَهُ: الشجرةُ وراءنَا .. الشجرةُ وراءنَا.

قال لعامر:

- لمـاذَا تقلِّدُ صوتِـى يا عامر؟ هل تبثُّ فى نفسـكَ الخوفَ بدلاً مِنْ أنْ تتشجَّعَ؟

ازدادَ خوفُ عامر وَأَخذَ يرتجفُ وهوَ يُقْسِـمُ بصوتٍ خافتٍ رَاجفٍ:

- أنا لمْ أفتحْ فَمِى .. لمْ أتكلَّم.

ضمَّ كلٌّ منَ الطرفينِ الآخرَ وهوَ يشجِّعُ رفيقهُ، فسمعَا

حركةً فوقَ أحدِ الأغصَان: رفعَ فادى رأســهُ فرأَى ببغَاء ضخمًــا ملونًا بِألــوانٍ بديعَةٍ وهَو ينظــرُ إليهمَا بفضُولٍ وكأنهُ يتَسمَّعُ.

قال فادى:

– وأنتَ الآخر ماذَا تريــدُ؟ هلْ ينقصنَا ببغَاء مثلكَ؟ لاَ .. لنْ نَصيدكَ.

ردَّدَ الببغَاء:

– نصيدكَ .. نصيدكَ.

فضحكَ كلٌّ مِــنْ فادى وعامر، وفَــادى ضحكَ أَكثر، لأنهُ شــعرَ بالمســؤُوليةِ نحوَ عامِر الذِى بدأَ الاطمئنَانُ عَلى وجْههِ.

قالَ فادِى:

– لقْد حســبْنَا حســابًا لكثيرٍ منَ الأَشــيَاء، لكننَا لمْ نحِسبْ حسابَ الببغَاء.

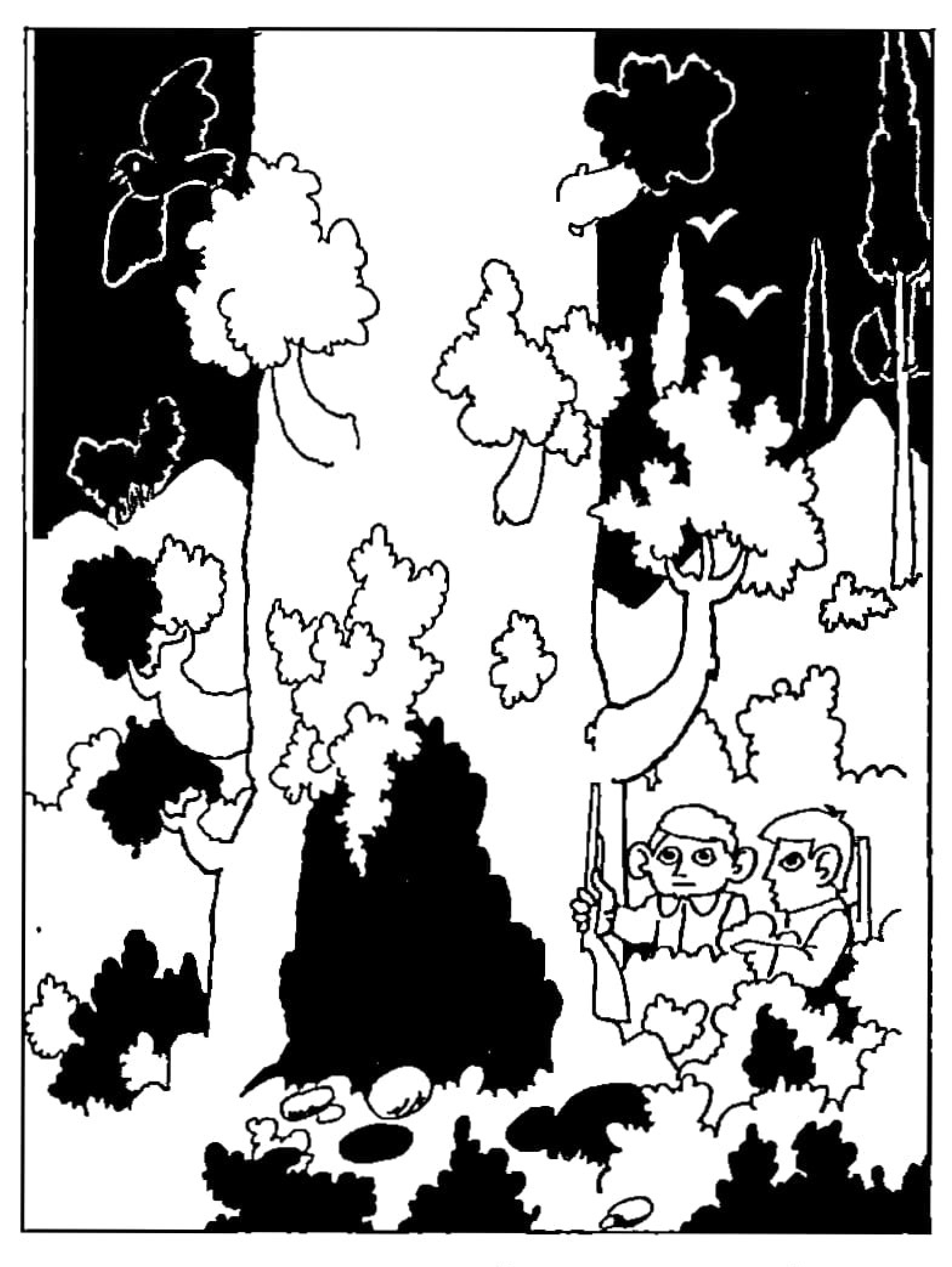
وسَــارَا مُتَمهِّلينَ حَذِريــنَ وقدْ تحوَّلَا إلــى كُتلةٍ منَ اليقظَةِ والانتبَاهِ حتَّى يكونَا مُستعدِّينَ لمفَاجأةٍ جَدِيدَةٍ.

شجرة الناسك

سارَ الفتيانِ عامر وفادى مسافةً طويلةً باتجَاه أشعَّة الفجْـر ليهتديَا إلى حيــثُ المخَيَّــم وَأبواهما وجمَاعة الصَّيد. أحسَّــا بتعبٍ شــديدٍ، وعطشٍ وجوعٍ، وَتَرَاخت أقدامهمَا وهيَ تغوصُ فِــى الأرضِ الرَّطْبة، فجأةً وجَدَا نفسيْهمَا أمامَ شجرةٍ كبيرةٍ ضخْمةٍ جذْعهَا أَجْوف وكأنهُ مغَــارة صَغِيرة، والأغصانُ تتدلَّى فوقَ التجويفِ وكأنهَا تحْنُو عليهِ وَتسترهُ عنِ الأنظارِ، توقفَا فقالَ عامر:

-- لمــاذا لا نســتريحُ فِى قلــبِ هذِه الشــجرةِ؟ تبدُو وكأنهَا بيتٌ صَغِير.

لَــمْ يَرُدَّ فادى، لأنهُ كانَ يتفحَّــصُ بعينيْهِ مَا بدَاخل التَّجْويفِ أَوْ هذَا البيتِ الصَّغير كَمَا سمَّاهُ رفيقُهُ، فلاحظَ بعدَ أَنْ ســلَّط الضوءَ الكاشِــفَ أَنَّ فيهِ -فعلا- ما يشــبهُ البيــتَ: غطاءٌ من الكتانِ، وآخرُ مــنَ الصوفِ وكلاهمَا رثٌّ بَالٍ وممزَّق، وفــراشٌ من القشِّ، ووعَاء كأنهُ مقطع



فجأة وجدَا نفسيْهما أمام شجرة كبيرة ضخمة

مِنْ نباتِ اليقْطِين الجَـاف، وحجَارة صغيرةٌ، وأدواتٌ بسيطةٌ من حجَرٍ ومعْدنٍ.

قال فادى:

– توقَّف .. انتظِرْ .. مَا يُدرينَا سـرّ هذهِ الشـجَرة، لعلهَا وَكْرُ لصٍّ أوْ مُجْرمٍ هَاربٍ مِنَ العَدَالة؟

أسرعَ عامر فقالَ:

– وربمَا لوحشٍ كاسرٍ أيضًا.

نظـرَ فادى إليهِ نظرةً عتاب لسـوءِ تقديره، وقبلَ أن يقولَ له وهلِ الوحشُ يستعملُ أوعيةً وأدوَات وأغطية، إذِ انتصَب أمامهمَا رجلٌ ضامرُ نحيلٌ قدْ برزتْ عظامهُ كأنهُ نَاسِـك، لحيتهُ طويلةٌ وعيناهُ غائرتَانِ فِى محجريهمَا، ولكنَّهُمَا تُومضان ببريقٍ غريبٍ إلاَّ أنهُ غيرُ مُخِيف. كانَ يتـوكأُ على غصْنٍ رغمَ أنه جالسٌ مُعْتدلُ الظهرِ مُنتصِبُ القَامةِ.

بُهـت الفتيـانُ والتصقَا بطـرفِ الشـجرةِ وكأنهمَا يريدانِ أنْ يتستراَ بالأغصَان، كانَ الرجلُ يتمتمُ بكلماتٍ

خَافتة، ويمسحُ بيدِهِ اليسرَى فوقَ وجهِهِ ثم فوقَ صدْره.
ولمْ يلبثْ أنْ أسـندَ عصاهُ فوقَ حجرٍ ثمَّ دخلَ إلى جوفِ الشـجَرة، وجلسَ فيهَا وقدْ طوَى رجْليـه تحتهُ، ومدَّ يديْـهِ الاثنتيْنِ كأنهُ ينادِي الولديْن، وابتسـمَ فَظَهرت أسنانُهُ المحَطَّمة.

قالَ عامر همْسًا:

- يبدُو أن هذَا الرجلَ مجْنون.

قال فادى:

- هُـسْ .. انتَظِـرْ .. لا يبـدُو كذلكَ، إنـهُ هَادئٌ وَوَدِيع.

قالَ الرجلُ بصوتٍ خَفِيض:

- منْ أنتمَا وماذَا تُريدَان؟

وقبـلَ أن يجيبهُ أحدهمَا أو كلاهمَا عنِ السـؤالِ قَالَ الرجُلُ:

- تعاليَـا اجلسَـا أمامى.. المـكانُ يتسـعُ لنَا عَلى ضِيقه.

وَأَخذَ يزيحُ الحجــارةَ الصغيرةَ، ويرددُ كلامًا بنغمَة كأنـهَا صَلاة، فاذَا بفادى يضعُ أشياءَهُ على الأرضِ ويدخلُ كأنهُ مسحُور، وتردَّدَ عَامر قليلًا وهوَ يتظاهرُ أنه يخلعُ محْفظته عــنْ كتفهِ ويمددُ بندقيتهُ على الأرضِ فســمعَ فادى يقولُ للرجُل:

- أنَــا فَادى وهذَا عامرُ رَفيقِى .. لقْد جئنَا معَ أَبوينَا وجَمَاعــة الصيدِ فــكانَ أن تُهْنَا فِى الغابــةِ، وهَا نحنُ نَسْتدِلُّ علىَ طريقِ العودَة.

هزَّ الرجلُ رأســهُ بحَنان، وقــالَ بينَما ينضمُّ إليهمَا عامر:

- منذُ متَى وأنتمَا تائهَان؟

قالَ فادى بسرعَة:

- منذُ أَمس .. وقدْ تعبنَا جدًّا.

قالَ الرجلُ:

- وأينَ قضيتمَا اللَّيْلَ؟

ردَّ عامر:

– فِـي المغَـارة .. تلـكَ المغَارة إلى جانـبِ مغَارة الغزلَان، وكانتْ ليْلة صعْبة وهَا نحنُ لا نزالُ تائهينَ.

قالَ الرجلُ وقدْ رفعَ رأسـهُ ينظرُ إلى السـماءِ وَإلى جهَاتِ الغَابة الأربع:

– سـأدلكمَا علَى الطريقِ.. بعدَ أَنْ تسـتريَحا وتأكلَا وَتشربَا.

نظرَ كلٌّ منْ فادى وعامر أحدهمَا إلى الآخر: منْ أينَ لهذَا الرجلِ وَهُوَ فى هذهِ الحالةِ بالطعَام والشَّراب؟

وكأنمَا فهمَ الرجلُ مَا يدورُ فِى بالهمَا فقَالَ:

– الـرزقُ منْ عندِ الله يَا أولَادى.. هذهِ هِىَ السَّـاقية أمامنَا.. وهذَا هو الشجرُ يطرحُ ثَمَرًا.

ومَـا إنْ أتمَّ كلمتهُ حتى وقعَت بعـضُ ثمارِ التينِ منْ أعلىَ الشجرةِ، وانتبهَا إلى خريرِ الماءِ إلى جَانبيْهمَا.

ولمْ تلبثْ أن مرتْ عنزةٌ ممْتلئَة الضرعِ أَمامهم ثُم توقَّفت فحلبهَـا الرجلُ وقـدَّم لهمَا حليبًا دافئًا سـائغًا، وقفَ الفتيانُ مشْدوهينَ، قالَ الرجلُ:

- قبـلَ أَنْ تنصرفَـا أريدُ أَنْ أُحدثكمَا عنِ الشـجرةِ، إنهَا شَجَرةُ التينِ، الشـجرةُ المباركةُ التى ورد ذكرهَا فِى القرآن الكريم، وَالتِى أقسـمَ الله تعالىَ بهَا فقالَ جلَّ شَـأنه: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾[1]

دائمًا يَا أولَادِى، أتعبَّدُ وَأَتأمَّلُ فى مخلوقاتِ الله تحتَ هذهِ الشَّجرة المباركَةِ، تاركًا المالَ والأهلَ والولَدَ.

أطرقَ الفتيَان يُفكران تفكيرًا عميقًا فيمَا سـمِعا، قالَ الرجلُ:

- هذهِ الشجرةُ هىَ المكانُ الذِى أتعبدُ فيهِ.

سأَل عامر بنبْرَة حادَّةٍ:

- وأولادكَ أليسَ لكَ أولاد؟

قالَ الرجلُ:

- نَعَمْ .. لِى أَوْلَاد.. وهُمْ أكبرُ منكمَا .. رَبَّيتهُم تربيةً صالحةً وهُمْ يعيشُـونَ فِى القريةِ، وقـدْ يأتونَ إلَى هنَا

(١) سورة التين من الآية ١ : ٣.

بينمَا أنَا فى حالةِ تأمُّل وتعبُّد فى هذَا المكانِ المنعزلِ.. انتظرَا فقدْ يَأتى إلىَّ أحدُهُم فِى أىِّ وَقْتٍ.

فقالَ فادى:

– لا نســتطيعُ أن ننتظِرَ يجبُ أن نلتحقَ بالمجموعَة الَّتِى جئنَا معهَا إلى هذهِ الغَابة.

ضحك الرجلُ وقَال:

عَلى أى حالٍ لقدْ سررتُ بكمَا وكأنكمَا منْ أولادِى.

أضافَ فادى:

– وهلْ تنامُ هنَا فِى الليالِى العَاصفةِ كليلةِ أمْس؟

قالَ الرجلُ:

– لا .. أنَا آوى إلىَ مغَارة اخترتهَا لنفْسِى .. لكننِى نادرًا مَا ألجأُ إليهَا.

تعجَّبَ الفتيانِ فادى وعامر مِمَّا يسمعَان. لبثَا مُطرقيْنِ صَامتيْنِ وكأنهمَا لا يريدَان فراقَ هذَا الرجلِ حتَّى برزَت أنوارُ الشمْس، فقالَ الرجلُ:

– ليأخذْ كلٌّ منكمَا ورقةً فيهَا خرَيطة الغَابة وعَلامة

على الطرِيق الذىِ تريدَانِ أَنْ تتوجَّهَا إليْه.

قال فادى:

– ورقةٌ واحدةٌ تكِفى، لنْ يَفترِقَ أحدنَا عنِ الآخرِ.

قالَ الرجلُ:

– أعرفُ أنكمَا لنْ تفترقَا .. هذَا جيد .. لكنِى كتبتُ فــى كلِّ ورقةٍ كلماتٍ مُبَارَكة، ســوفَ تصونُ كلًّا منكمَا وتحفظُه منَ الأَذى والمتَاعب. إنَّ لكلِّ مخلوقٍ فِى الحياةِ قَدْره الخَاصّ.. وَدَرْبهُ الخَاصُّ.

ولمْ تكُن تلكَ الأوراق الاَّ منْ نباتاتٍ جَافة .. سَمِيكَة، سمْراء وعريضَة أيضًا كأنهمَا أوراقٌ منَ التَّارِيخ.

قَدَّمَا شكرهمَا للرجلِ الذِى خرجَ منَ الشجرةِ واختفَى فى داخِل إِحْدى المغَارات.

ومَا أســرعَ ما اهتديَا إلى الطريقِ .. وعندمَا وصلَا إلى جَمَاعة الصيــدِ والجَميع فِى حالةِ قلق شَــديد يتأهبونَ للبحْثِ عنهمَا فِى الغابةِ قدمَا إليهم الأَوراقَ التِى كانتْ دليلهمَا فِى الرجوعِ الآمِنِ السَّريع.

ونظرَ الرجالُ بعضُهم إلى بعضٍ غير مصدِّقينَ .. لكنَّ والدَ فادى قالَ:

- إنَّ ابنِى لا يكذبُ، وهذهِ الورقةُ برهَان نَاصع.

أردفَ والدُ عامر:

- وابنِى كذلكَ لا يكذبُ .. وبرهَانه معهُ أيضًا.

وتمنَّــى الرجالُ لوْ يَــزُورونَ الرجــلَ المتعبِّدَ تحتَ شجرةِ الزيتونِ ... إنها شجرةُ النَّاسك .. لكنَّ الظروفَ لمْ تسمحْ لهمْ بذلكَ.

أشجاروأخبار

لمْ يُصدِّق الولدَان فادى وعامر أنهمَا عادَا إلى أبويهمَا وَإلــى مجموعَة الصيَّادينَ.. وكانَ اللِّقــاءُ حارًّا وعَاطفيًّا. لكنَّ كُلًّا منَ الأبويْن لمْ يظْهر انشغالُ بالهِ عَلى ولدهِ أمامَ الجميعِ حتَّى يشــعرهُ أنهُ أصبحَ شَابًّا يستطيعُ الاعتمادَ عَلىْ نفسهِ، وخاصَّة فِى رحلةِ صيدٍ كهذهِ.

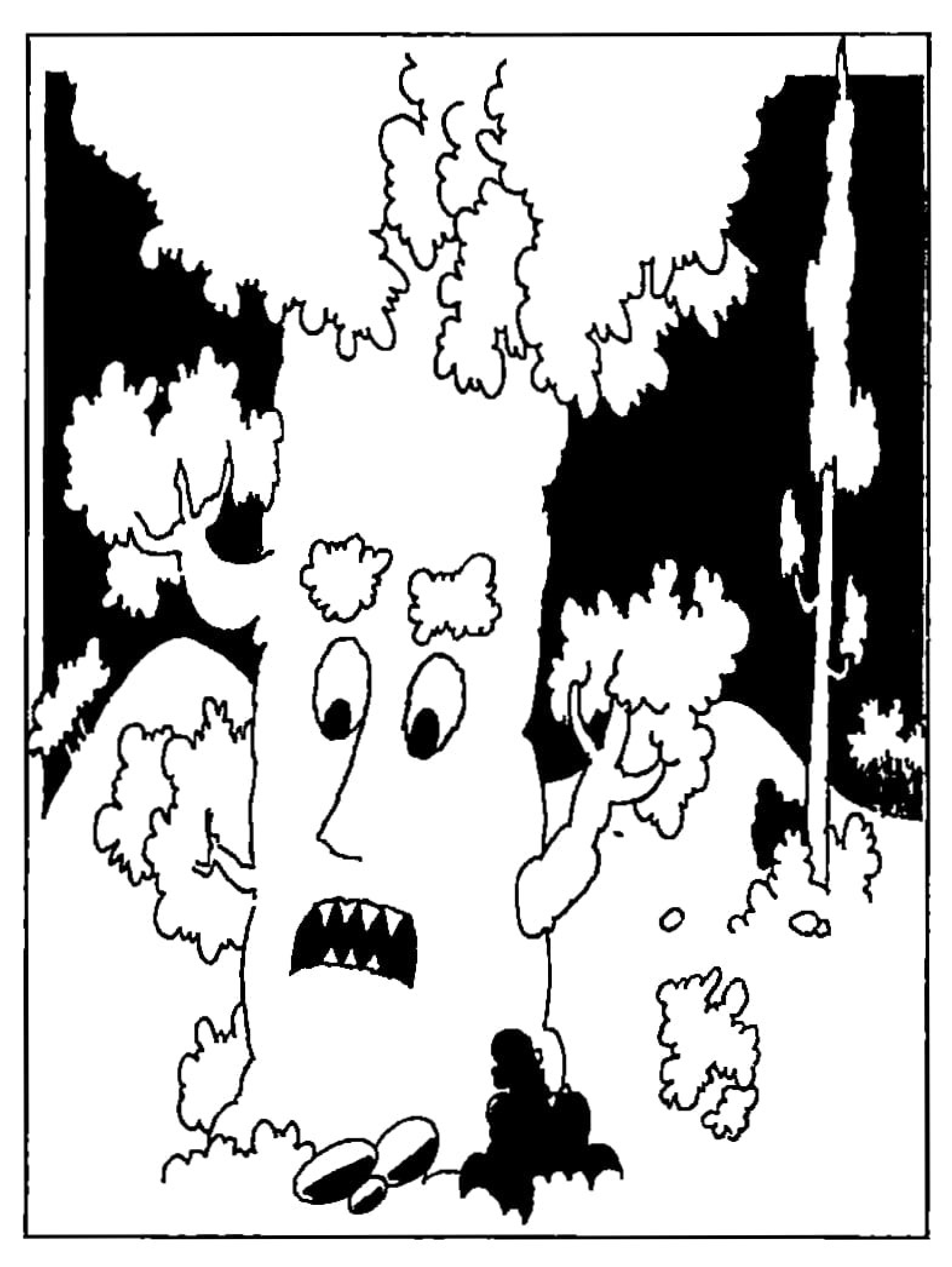
أما فــادى وعامر فقــد شــعرَا أنَّ عليهمَــا الالتصَاق

بالمجموعــةِ حتَّــى لا يقــعُ أىُّ خطأٍ آخــرَ أو ربمَا هذِه المــرَّة. والأهمُّ مــنْ ذلكَ أنهمَا يريــدانِ أنْ يرويَا كلَّ ما جــرَى معهمَــا بالتَّفصيلِ وخاصَّة فيمَا يتعلقُ بالناســكِ وشَجرتهُ. وقدِ اهتمَّ الجميعُ بمَا سمعوهُ لكنهمْ لم يُفكروا بأنْ يسلكُوا الطريقَ المؤديةِ إلى الشجرةِ ولاَ أنْ يزعجُوا ذلكَ (الناسك) المتَعبد كمَا سَمُّوه.

وفى فَترة الاســتراحةِ أثناءَ اللِّقــاءِ، وخلالَ النهارِ بحثًا عنِ الصَّيد، كانَ جماعةُ الصيادينَ يروونَ العجائبَ والغرائبَ عمَّا ســمعوهُ عــنْ قصصِ الأشــجارِ والولدَان ينصتَان بشغفٍ شَديدٍ، وبفرحٍ أيضًا، لأنهمَا استطاعَا أنْ يُؤثِّرَا عَلى الجميــعِ فيجرُّوهم إلى مثلِ هذهِ الأحادِيث. وبمَا أنهُ كانَ بينهُمْ أساتذةٌ جَامعيونَ وعلَماء فقدِ استطاعَ كلٌّ مِنْ فادى وعامر انْ يطرحَ أســئلتهُ ليتلقَّى الإجَابات العلْميَّةَ الصَّحيحَةَ.

قال والد فادى:

– لقدْ قرأتُ منذُ مدةٍ قريبةٍ قصةَ الشجرةِ المسْحُورة



الصَّيادونَ يروون العجائب والغرائب عن قصص الأشجار.

فِي مَاليزيا التِي عُمرهَا مائة عام، وَالتِي أعاقتْ رافعَة حَاولت اقتلاعهَا لشقِّ الطرِيق، وظَلتْ تعيقُ مْشروع شقِّ الطريقِ السريعِ فِي ولاَية جاهور فترةً طويلةً، حتَّى انهم بعدَ أنْ قطَعوهَا لمْ تستطِع الرافعةُ القادرةُ علىَ حمْل (٣٠) طنًّا عَلى حملهَا، وامتنعَ المشرفُ عَلى الرافعةِ منْ تكرارِ المحَاولة، لأنهُ حَلُم أحلامًا مُروّعةً هَاجمتهُ فيهَا الأفاعِي. وقدْ تنَاقلتْ وكالاتُ الأنباءِ ذلكَ ونشرتِ الخَبَر وقالتْ إنَّ الحشودَ تجمَّعَتْ حولَ تِلكَ الشجرةِ وَهِيَ تنظرُ إليهَا بعيونِ الدهشةِ والاسْتِغراب.

سألَ فادى بلهفة:

- هلْ هذَا صحيحٌ يا أبِي بأنَّ هناكَ أشجارًا مسْحُورةً؟

ردَّ الأستاذُ الجَامعي د. سامى:

- هذِهِ مُعتقدات لاَ ندرِى مدَى صحتهَا وَمطابقتهَا للوَاقع، لكنهَا للأسفِ مَوْجودة، عَلَى أى حَالٍ ماذَا يضيرُ لوْ أنهم احترمُوا هذِه الشجرةَ العجُوز وَلَمْ يقتلعُوهَا مِنْ

مكانـهَا؟

نحنُ نؤمنُ بالعلمِ، وبالمناسبةِ فقدْ تمَّ اكتشافٌ توصّل إليهِ د. (هاملى جورثــون) الخبيرُ فِى علم النباتاتِ أنَّ الأشــجارَ عندمَا تعطشُ تصدرُ أصواتًا يمكنُ تســجيلهَا بواســطةِ جَهاز خَاص يرسلُ إشَارات مُعَينـة. وقالَ ذلكَ العالــمُ أنهُ أجْرى أبحاثهُ عَلى أشــجَارَ التفاحِ فســجَّل أصواتًا تشبهُ البكاءَ.

صَاحَ عامر بصوتٍ عَالٍ:

– هذِه هِى الأصواتُ التِى سمعتهَا ليلةَ أمس.

ردَّ فادِى بسُرعةٍ:

– لاَ .. ليستْ هىَ، لأنَّ الأمطارَ كانتْ تـهطلُ وَالأرضُ ليَست عطْشى.

خجلَ عامر، فردَّ العالمُ د. فتحى:

– ربمَا صَدَرتْ أصواتٌ لســببٍ أوْ لآخرَ لَا بدَّ أَنَّ لذلكَ تفسيرًا علميًا، لكنـهَا المعتقداتُ كمَا قال د. سامى.

وها هُمْ فِى كوريا الجنوبية تمكنُوا منْ إنقاذِ شــجرةٍ

عمرهَــا (٧٠٠) عامًا يقالُ إنهَا تبكِــى عندَ وقوعِ كارثةٍ قوميَّــةٍ، وهذَا مَا فعلتهُ عندمَا غــزتِ اليابانُ كوريَا عام ١٥٩٢م، وكذلــكَ عندمَا اندَلعت الحــربُ الكوريةُ عام ١٩٥٠م، إنهَــا شــجرةُ «الجنكة» وَقَــدْ أنقذوهَا حينمَا رفعوهَــا بحرصٍ عندمَــا أرادُوا بنَاءَ ســدٍّ، ثبتوهَا فِى الأرضِ مِنْ جديدٍ وأحاطوهَا بتربَةٍ جيدةٍ.

قال والد عامر:

– علينَا أَنْ نهتمَّ بالكشوفِ العلميَّةِ وليسَ بالخُرافاتِ والمعتقدَات. أليسَ كذلكَ يا عَامر؟

ردَّ عامر:

– طبعًا .. طبعًا .. لكنْ هذِه القصصِ مُشوِّقَة.

قال العالم د. فتحى:

– إذنْ سَــأحدثكَ عَــنْ شــجرةٍ هنديَّــةٍ مــنْ فصيلةِ (الماهوجانى) يطلقُ عليَها اسم شجرةُ «نيم»، ويعتبرهَا الســكانُ شَــافية لعددٍ كبيرٍ منَ الأمراضِ، وَبالفعلِ فقدْ ثبتَ علميًّا ذلــكَ، فبذورُ الشــجرةِ وَلحاؤُهَا وأوراقُهَا

تُســتخدمُ فِى علاجِ مجموعةٍ لا حصــرَ لهَا منَ الأمراضِ ابتداءً مِنَ السُّــلِ وحتَّى الملاريَــا. إضافة إلى ذلكَ فهىَ تطردُ الحشَرات بعيدًا عنِ المحَاصيلِ الزراعيَّة.

أضاف والد فادى:

– وكمَــا أعلم فَإِنَّ دوَاء الملارَيا الأصلى هُوَ «الكينين» المأْخوذ مِن لحَاءِ شجَرةِ الصَّفصَافِ.

قال العالم د. فتحى:

– هذَا صحِيح .. ولقدْ تمَّ اكتشــافهُ بالمصَادفة عندمَا وقعَت أشــجَار الصفصافِ فِى تجمُّعٍ للمياهِ وشــربَ منهُ بعضُ المرضَى فَشُفوا.

قالَ أكبرُ جماعَة الصيادينَ سنًّا :

– سأحدثكمَا ذَات مرةٍ عنْ قصةِ الصفصَاف البَاكى. لا ينسَ أحدكمَا أنْ يذكِّرَنِي بذلكَ.

وهكــذَا توالتِ الأحَاديثُ ... ثم نـهضَ الصيادونَ إلى رحلَةِ صيْدهــم النهَاريَّة، وعادُوا بصيْــدٍ وَفيرٍ. وبينمَا أشعلُوا النارَ ليعدُّوا طعامًا منَ الأرانبِ البريةِ والطُّيور،

وكلابهُــم قدْ أغفَتْ مُتعبة وهىَ تَلهثُ، قَال عامر لفادى بصوتٍ خَافت:

- غَرِيــبٌ .. هذِه الكلابُ جَائعة.. وهىَ التِى حملَت مَــا تمَّ صَيْده بأنيابهَا لكنهَا لمْ تأكلْ منهَا شــيئًا.. وهىَ الآن تنامُ وَ لا تطالبُ بشىءٍ.

قال فادى:

- مــا هذَا الــذِى تقولــهُ يَا عامــر؟ أليســتْ كلابُ صيــدٍ مُدَّربَة، ثُمَّ هلْ نســيتَ أنَّ الــكلابَ أمِينة وَوَفيه لأصحَابها؟

نهضَ عامر وقالَ:

- لابدَّ أَنْ أوقظهَا لتشــهدَ شــواءَ اللَّحمِ قبلَ أنْ تأخذَ حِصَّتهَا منهُ.

الصفصاف الباكى

عندمَــا انتهَــى العشــاءُ اللذيــذُ وَآوى الجميــعُ إلى الخيمَــة، كانَ لابدَّ من ســهْرةٍ صغيرةٍ قبــلَ أنْ يداعبَ

النومُ الأجفَان، كانَ عامر أكثرُ الجميعِ نشــاطًا وتحمسًا للحَدِيث، سألَ موجِّهًا كلامهُ إلى الرجلِ الأكبرِ سنًّا منْ مجموعَة الصَّيادينَ:

– ألمْ تُعْطِنِــى وعدًا بأنْ تقصَّ علــيَّ قصةَ الصفصَاف البَاكى؟

ضحكَ فادِى وقدِ انضمَّ إليهمَا بسرعةٍ قائلًا:

– ألمْ ينصحْنَا د. فتحى بأَنْ نهتمَّ بالعلمِ لاَ بالخرافةِ والسِّحرِ؟

قال الرجل:

– ومــعَ هذَا .. لا بأسَ منْ انْ نســتمعَ إِلىَ الخرَافَاتِ والأسَاطير وَقصص الســحرِ ونحاولُ أنْ نفسرهَا، المهمُّ ألاَّ تُؤَثِّرَ عَلى تفكيرنَا فَنَعْتقد بهَا اعتقادًا جازمًا، أوْ أنْ نخافَ بسببهَا ممَّا لاَ يستدِعى الخَوْف.

قال عامر:

– أنــا أعرفُ أننِى قرأتُ قصةً عنِ الصفصافِ الباكِى، لكنِى لمْ أعدْ أذكرهَا.

قال الرجل الوقور:

– هنـــاكَ قصــصٌ كثيرةٌ .. ولعلَّ كلَّ شــعبٍ ينســجُ أسطورتهُ الخاصَّة حولَ الصفصَاف، لكنهَا جميعًا تدورُ حولَ محورٍ واحدٍ هــوَ أنَّ الصفصافَ ينبتُ على ضفاف الأنهــارِ وقربَ تجمُّعَــات المياهِ، وَلاَ يعيــشُ إلاَّ علىَ الضفافِ.

ثُمَّ صمتَ وفكَّر قليلاً وبعدهَا قالَ:

– ما رأيكُــم أنْ نبتكرَ الآنَ بعــضَ القصصِ عَلى هذَا الأساسِ .. وهو حبُّ الصفصافِ للماءِ؟

نظرَ فادى وعامر كلٌّ منهمَا إلى الآخرِ، وقدِ التمعَت العيونُ ببريقِ الدَّهشةِ.

قال فادى:

– لاَ بأْس .. سأبدأُ أَنَا.

قال عامر:

– حســنًا .. ولكــنْ ليسَ قبلَ أنْ أعرفَ لماذَا ســموهُ «الباكى»؟

ضحكَ الرجلُ الوقورُ وقَال:

– التفسـيرُ بسيطٌ .. أليسَ يشـربُ كثيرًا منَ الماءِ؟ طَبيعـي أنْ يتبخرَ هذَا الماءُ بفعلِ الشـمسِ، ربمَا بعدَ غيابهَا مُباشـرة فيبدُو كالدمعِ.. أو ربمَا تناثرتِ المياهُ فوقـهُ بفعلِ تيَّارٍ أو منحدرٍ أو اصْطدامِ صخرةٍ فيلوحُ هذَا الرذاذُ وكأنهُ قطرَات دمْعٍ.

قال فادى:

– ولماذَا لا يكونُ الباكِى لأنه يقتربُ كثيرًا منَ الماءِ، وتتدلَّى أغصانهُ فوقَهُ؟

قال الرجل:

– هذَا تفسيرٌ جَيد أيضًا .. يستطيعُ المرءُ أنْ يفسرَ كَمَا يريدُ، والمهمُّ أنُ يكونَ هذَا التفسيرُ معللًا ومقبولًا.

قال عامر:

– لنسـتمعَ إلى مَا سيبتكرهُ فادى، ثُم بعدَ ذلكَ يأتِى دَوْرِى.

قالَ الرجلُ الوقورُ:

– بلْ سـأبدأُ أَنَا .. لاَ تظنًّا أننـي أُبتكرُ تمامًا لأننِى ربمَا كنتُ مُتأثرًا بمَا سمعتُ فِى طُفولتى.

تقولُ قصةُ الصفصافِ البَاكى أنَّ فارسًا شجاعًا مقدامًا دَافع عنْ وطنهِ دفاعًا شديدًا حتَّى امتلأَ جَسدهُ بالجرَاح.. وبمَـا أنَّ الجريحَ يطلبُ الماءَ، فقدْ زحفَ بصُعوبة حتَّى يبلغَ ضفةَ النهرِ ليشـربَ ويسْقِى حِصَانه .. لكنهُ مَا أَنْ أوشـكَ أنْ يضعَ فمهُ قـربَ الماءِ، حتَّى فـارقَ الحيَاة، فتألمَ جوادهُ منْ أجلهِ ورمىَ رمحَ الفارسِ بفمهِ فى الماءِ فتحَوَّلَ إلى شجرةِ صفصَاف أخذتْ تبكِى الفَارسَ طوالَ حياتهَـا. وهكـذَا فعلَت كلُّ أشـجَار الصفصَاف دونَ أنْ تفارقَ المِيَاه.

قال عامر وهوُ يصَفق:

– قصةٌ رائعَة .. والآن دوركَ يا فَادى.

قالَ فادِى:

– وأنـا أظـنُّ أنَّ أَمَّ هذَا الفارسِ هـىَ التِى بكتْ عَلى ابنهَا قربَ النهـرِ، فبكتْ معهَا أشـجَار الصفصَاف..

وظلتْ تبكِي دائمًا .. ولهذَا سموهُ الصَّفصاف البَاكى.

ارتبكَ عامر قليلاً عندَما جاءَ دورهُ، فقالَ الرجلُ وكأنهُ يعطِيه فرصَةً منَ الوقتِ أوْ يساعدهُ على فكرةٍ مَا:

- وَلاَ تنسُوا يَا أولاد أنَّ الصفصافَ ينبتُ بغزَارةٍ على ضفافِ الأنهارِ حتَّى الصغيرةَ منهَا وبُسرعة، وأنَّ الأنهارَ هىَ أساسُ المدنِ بلِ الحضَارات، فلولاهَا كمصدرٍ رَئيسى للحيَاة لمَا كانَ زرعٌ ولا ضرعٌ ولا عاشَ بَشَر، ومنْ أجلِ المياهِ تقومُ الحروبُ والمنازعَات.

قال عامر فرحًا:

- إذَنْ .. نستطيعُ القولَ إنَّ جيشًا منَ الأعداءِ أرادَ أَنْ يكتشفَ النهرَ ليسْتولى عَلى الأرضِ ولمَّا لمْ تَستَطع أغصَان الصفصَاف وَجذوعهِ أنْ تخفِى النهرَ وانتصرَ الأعداءُ، ظلَّ عَلى أكتافِ المَاء يبْكِي وينتحبُ فَسموهُ الصَّفصَاف البَاكى.

ضحكَ الرجلُ الوقورُ وقالَ:

- هَا قدِ استطعنَا أنْ نخلقَ منْ خيالنَا أسَاطير جَدِيدة

نصوغهَا كمَا نشاءُ لنفسِّرَ مِنْ خلالهَا الأشيَاء.

لقدْ آثرتُما اهتمامِي بــأنْ أضيفَ قصةً جديدةً: يُحْكى أنَّ شــابًا وفتاةً كانَا يحبانِ بعضهمَا جــدًّا.. وَلمَّا اختطفَ رجلٌ شِرِّيرٌ هذهِ الفتاةَ وأرادَ أنْ يجتازَ بهَا النهرَ ليخفيهَا فِي بلادهِ تعثَّرَ الحصانُ بجذوعِ أشــجار الصفصافِ، وارتبكَ بفروعهَا فسقطَ فِي الماءِ وغرقَ الرجلُ، وراحتِ الفتاةُ ضحيَّة.

فحــزنَ الصفصافُ وأخــذَ يبكِي عليهَا هوَ والشــابُّ حبيبهَــا فُســمي الصفصافُ الباكِــي، وَأُلفــتِ الأغانِي الحَزينَة فِي مُناجَاةِ الصفصَاف وَالحبيب.

أطرقَ الثلاثةُ بعدَ ذلكَ -واجمينَ- كما لوْ أنهمْ تَأَثَّرُوا بالقصــصِ الَّتِي اخترعوهَا، أوْ كأنمَــا يفكرونَ فى قصةٍ جديدةٍ، فقالَ الرجلُ الوقورُ:

- لماذَا لا نَقومُ إلى النومِ؟ أعتقدُ أننَا سنزعجُ الآخرينَ ولو أننَا نتكلمُ همسًا.

قال فادى:

- لكننِي لا أشعرُ برغْبةٍ فِي النَّومِ.

أضَاف عامر:

– وأناَ كذلكَ .. هلْ نستطيعُ أنْ نجلسَ خارجَ الخيمةِ ونتحدَّثُ؟

قالَ الرجلُ:

– تَســتطيعونَ بالطَّبعِ .. ولكنْ عليكمْ بإشعالِ النَّار، حتَّى لا تقتربُ منكُم الحشرَات أو يهاجمكُم حيوانٌ ما.

أجابَ عامر:

– والأَفاعيِ أيضًا .. أليسَ كذلكَ؟

عقَّب فادى:

– لَكِنَّ هذهِ الغابةُ لاَتُوجدُ بهَا الأفَاعِي كما فَهمتَ.

أردفَ الرجلُ الوقوُر وهوَ يسحبُ غطاءهُ فوقَ رأسه:

– لا يخلُــو الأمــرُ .. لاَ يخلُــو الأمــرُ .. والاحتياطُ واجبٌ.. والحذرُ مطلوبُ.

وإذْ سَهِرَ فادى وعامر أخذَ كلُّ منهمَا يُثنِى علَى الآخرِ لبراعتهِ فِى ابتكَارِ القصصِ الخَيَالية.

قالَ فادِى:

- سأجلبُ هذهِ الأغصَان لنوقدَ النَّار.

أسرعَ عامر فأشعلَ قطعَةً مِنَ القماشِ مغْموسة بالنَّفْطِ، ورماهَا فوقَ الأغصانِ الشَّاحبة، لكنَّ النارَ لمْ تشتعلْ كمَا يَجب. وَكرَّرَ العمليَّةَ عدَّةَ مرَّاتٍ دونَ فائدةٍ، كأنَّ الأغصانَ مُشبعة بالماءِ وتأبَى الاحتراقَ، فطنَ فادى للأمرِ فقَال:

- أظنُّ يا عامر أنَّ هذِه أغصَان صفصَاف.. ألَا ترى إلى جذوعهَا الملسَاء الشَّاحبة، وَأنهَا عَديمَة الأورَاق؟ كيفَ ستشتعلُ وهيَ رَطْبة هكذَا؟

قال عامر:

- وَمَا العملُ؟ منْ أينَ سنجلبُ أغصانًا أُخرى فى هذَا اللَّيل؟

وبينمَا همَا يتناقشَان سمعَا ضحْكة سَاخرة .. ولمْ تلبثْ أنْ ظهرَت أمامهمَا سَاحرة عجوزٌ أخذتْ ترفعُ الأغَصان حتَّى اختارتْ أطولهَا، فاذَا بهَا تمتطيهَا كأنهَا حصَان ثُمَّ تهتزُّ يمينًا وشمالًا كأنمَا تودُّ أنْ تَطِير.

صرخَ عامر وقال:

– هلْ ترى مَا أراهُ يا فادى؟

قالَ فادى:

– ومَا الذِى ترَاه؟

قال عامر:

– أنـا أرى عجوزًا تمتطِى غصنًا وتهـزأُ بنَا .. إنهَا قبيحَة وشعرهَا منفُوش وفمهَا بلَا أسنَان ..

قال فادى؟

– أَمَّـا أنَا فإننِـى أرى زنجيًّا أسـودَ يجمعُ الأغصَان وينفخُ فيهَا حتَّى تشتعلَ، إنه قبيحٌ مثلُ شيطَان.

وتسـمَّرَ الطفلَانِ فِـى مكانيهمَا، ثُـم صرخَا صرخَةً واحدةً، أسرعَ الرجلُ الوقورُ وسألَ:

– ماذَا حصلَ؟ هلْ أصابكَما مَكْروه؟

قال عامر؟

– إنـهَا السَّاحرةُ العجوزُ تمتطِى الغصْن.

قال فادى:

– بلِ الشيطانُ القبيحُ ينفخُ النَّار.



الساحرة العجوز تمتطى الأغصان كالحصان.

هدَّأَ الرجلُ كلاًّ منْ عامر وفادى، وسَاقهما أمامهُ إلىَ الخيمَة، وقَال:

- لمــاذَا حاولتمَــا إشــعَال النَّار منْ هــذهِ الأغصَان؟ إنهَــا منَ الصَّفصــاف .. وهىَ رطْبــة ولا تصلُح الآنَ بلْ تحتاجُ إلى وقتٍ حتَّى تُصبح يَابسة، ونادرًا ما يحرقُون الصفصافَ، بلْ يستخدمونهُ فِى النِّجَارةِ ويصنعُون منهُ أشيَاءَ كَثِيرَةً، إنَّ خشبهُ أَبيض ومَتينِ وَأمْلس.

سأل فادى بِجُرأةٍ:

- أيمكــنُ أنْ نتأكــدَ يَاعم أنهُ لا يوجــدُ أحدٌ معنَا لاَ سَاحرة ولاَ شيطَان؟ هلْ هذَا مُمْكن؟

قالَ الرجلُ وهُوَ يُحكم سدَّ الخيمَة:

- طبعًا لا يوجدُ أحدٌ، إنهَا أسَــاطِيرُكُم التِى تنبعُ منْ أفكَارِكم.

أسرار الطبيعة

فِى اليومِ الثالــثِ لرحلَة الصيدِ أفاقَ عامر علَى ضجّة

جمَاعة الصيادينَ، وهُم يســتعدُّون ليــومٍ صَيْدٍ جديدٍ ..
وقد كانَ فادى يُوقظُهُ، بلهفةٍ، وهوَ مخبَّأٌ فِى كيسِ النَّومِ
ولا يبدُو منهُ إلاَّ رأْسه، قال فادى:

– هيــه .. هيَّا انهْــض يا عَامر .. أيهَا الكسُــول ..
سننطلِقُ بعدَ دقَائق، هلْ نظفْتَ بندقيتكَ وهيَّأتـهَا؟

قال عامر بهُدوءٍ:

– لســتُ كســولاً .. وبندقيتِــى ليســتْ بحاجَة إلى
تنظيفٍ أوْ حشْوٍ، لأننِى لنْ أذهبَ معكُم.

ردَّ فادى باستغرْاب:

– ماذَا؟ لنْ تذهبَ معنَا؟ هلْ أنتَ مرِيض؟

قال عامر؟

– لاَ .. لستُ مريضًا .. لكننِى سأبقَى هنَا أمامَ الخيمةِ
حتَّى تعودُوا.

ضحك فادى وقالَ:

– ألنْ تخَاف وحدَك؟ ثُم .. قُلْ لِى ماذَا ســتفعلُ؟ هذهِ
رحلةُ صيدٍ وليستْ نُزهة.

لـــمْ يرد عَامر .. لكنَّ الحـــوارَ وصلَ متقطعًا إلى وَالده الذِى أسرعَ إليه مُستفسرًا:

– ماذَا أســمعُ؟ لـــنْ تذهبَ معنَا؟ ماذَا ســتفعَل إذنْ؟ أَنســيتَ أنكَ أنتَ الذِى طَلبت بإلحاح مُرَافقتنا إلى هذهِ الرحلَة وكنتَ فِى غايةِ الفرحِ لمَّا وافقْتُ علىَ ذلكَ؟

قال عامر:

– أما أننِى نسِيتُ فأنَا لمْ أنسَ بالطَّبع .. لكنِنى أريدُ أنْ أَبقى معَ الطَّبيعَةِ دُونَ صَيْدٍ.

ولقدْ أَعَارَنى د. سامى هذَا الكِتَاب سَأقرؤُهُ أيضًا.

قَال والدُ عامر:

– تستطيُع أنْ تقرأَ الكتبَ فِى البيتِ .. نحنُ فى رحلةِ صيدٍ .. أَمَّا أَنْ تكتشفَ الطبيعةَ فمَا أظُن أنكَ سَتعثُر عَلى أشيَاءَ مهمَّة. الطبيعةُ لمْ يعدْ لهَا أسْرَار .. ونحنُ أصْبَحْنَا نعرفُ كلَّ شيءٍ عنهَا .. وبقاؤكَ هنَا ليسَ مَأْمونًا.

قال عامر:

– ولماذَا تعتقــدُ أنَّ بقَائى غيرَ مأمونٍ؟ عَلى أىِّ حالٍ

فالبندقيةْ معِى..

لَمْ يعدْ والدهُ يناقشهُ فهوَ يَحترمُ رغباتَهُ وَأفكارَهُ..

أَمَّا فادى فقدْ شـــعرَ بطريقةٍ مَـــا أنَّ عامرِ قدْ غدرَ بهِ، لأنهمَا اتفقَا عَلى أنْ يترافقَا طوالَ الرحْلةِ.

وبعـــدَ أَنِ انطلقَ الجميـــعُ إِلىَ أنحَـــاء الغَابة، وأخذَ وَقْعُ أقدامهمْ يبتعدُ شـــيئًا فشيئًا شـــعرَ عامر بِشىءٍ منَ الوحْشَةِ.. وَبقليلٍ مِنَ الندمِ لكنهُ لمْ يشعرْ بالخوفِ رغمَ كُل القصصِ وَالأحَادِيث التِـــى تبادلوهَا بالأمس .. عَلى العكِس شـــعرَ بالطُّمأنينةِ نحوَ الطبيعةِ، وَحُبٍّ مفَاجئ لهَا كمَا لوْ أنهُ يتعرَّفُ عَلَيها بعيْنٍ جَديدَةٍ.

أخذَ كتابُ «أسرار الطبيعة» وَاستندَ إلى جذْع شجَرة، وبدَأ يقرأُ ولاَ أصوَات مِنْ حولهِ، ماعدَا حَفِيف الشجرِ .. وغنَاء بعضِ العصَافير وَالطيورِ الجَاثمة بينَ الأغصَانِ.

وَفجأة سمعَ مِنْ جذْع الشجرةِ نقرًا متواصلًا كمَا لوْ أنَّ بابًا يُقرع عَليه.

– ما هذَا؟ – قالَ فى نفسِه.

إنـــهُ حفرٌ منتظمٌ كَما لو أنـــهُ مثقَاب .. هَلْ هو وَاهم؟ لَكِنَّ الصوتَ واضحٌ وَحقِيقى، رمىَ الكتابَ وتسـلَّقَ قليلًا جذْع الشجرةِ فلاحظَ هذَا الطَّائر اللَّطِيفَ «نَقَّار الخشب» وهوَ يحفرُ عُشَّهُ فِى جذْع الشجرةِ بهمَّةٍ ونشاطٍ، ويواصلُ النقْرَ دونَ أنْ يتوقفَ لحظَةً، لم يحْاول عامر أنْ يزعجَهُ بلْ هبَط دونَ ضجَّةٍ وهوَ يقولُ فِى نفســهِ: ألاَ يحقُّ لهذَا المخْلـوق أنْ يَبْنِىَ بيتَهُ بحريَّةٍ وَفِى المكانِ الذِى يريدُ؟ .. وهذهِ الغَابة مَوْطنـــه .. وأنَا الدَّخيلُ عليهِ أوِ الضَّيْف . لاَ .. لَنْ أكونَ الظَّالم والمعتدِى فليفعَل مَا يَشـاء .. لنْ أقبِضَ عليهِ أو أصْطادَهُ.

وبينمَا هوَ مُسْــتلقٍ عَلى الأرضِ تلعبُ فِى رأسهِ هذهِ الأفكارُ وقعَت فوقهُ إحدَى السَّحالى..

نظرتْ إليهِ بعُيونٍ ضِفْدعيَّةٍ ..مرَّتْ فوقَ ذراعهِ بأمانٍ ثُم تسـلَّلت فِى طريقهَا. لمْ يلبثْ سنجَابٌ صَغير أنْ أطلَّ عليــهِ منْ فوقِ غُصن بوجهـهِ الصَّغير وعُيونهِ الثَّابتة. مَا إنْ حرَّكَ عامر يدهُ حتَّى وَلىَّ منَ الفَزَعِ، فسقطَتْ مِنْ بَيْنِ

يديْهِ الشَّوكيَّتيْن جوزةٌ صغيرةٌ لعلهَا زادَ يومِهِ.

تأثَّــرَ عامر جدًا .. تَمَنَّى لوْ يعْــرف أينَ يَخْتبئُ هذَا السـنجابُ ليعيدَ لــهُ جوزتهُ. حطَّت بعــضُ العصَافير أمامهُ وهو يتناولُ الشطَائر.. لم يتحرَّك .. ولمْ تفزعْ هىَ منهُ، لانشغالها بالتقاطِ فتاتِ الخُبز.

- يَا الله .. -قالَ عامر فِى نفسِه- إنَّ الطبيعةَ مسَالمة وودِيعَة، لكننَا نحنُ البشرُ نزرعُ فيهَا العنفَ والدمَار.

عندمَا شَــبعت العصافيرُ رفرفتْ بأجنحتهَا وطَارت غَير بعيدٍ عنهُ، هذِه هى الطبيعةُ الَتِى يسمونهَا حَيوانيَّةً مــازالَ أمامهَا الكَثِير منَ الفتاتِ، لكنَّ العصَافير اكتفتْ فتركتهَا لغيرهَا، وبالفعــلِ فقدْ حطَّت عصافيرُ أُخرى. تُرى هلْ يفعلُ البشرُ ذلكَ بأنْ يأخذُوا كفَايَتهم ويتركوُا مَا تبقَّى لِسِوَاهم؟

لاَ .. إنَّ الإنســانَ جَشِــعُ وطمَّاع، حتَّى ولوْ شبعَ فانهُ يأكلُ كميةً إضَافيَّةً لوْ أرادَ.

لمْ يقرأْ عامر كثيــرًا فِى الكتابِ الذِى بينَ يديهِ، بلْ

أخذَ يقرأُ منْ كتابِ الطَّبيعةِ نفسهَا، صحيحٌ أَنَّ الحيوانَ يقاتــلُ الآخرَ وربمَا يفترســهُ، لكنهُ يُدافــع عنْ بقائهِ وَطعَامِهِ فقطْ.. إلاَّ أنهُ لا يفعلُ ذلكَ بدوافعِ الأذَى والشَّرِّ وَالتدميرَ، ثُم إنهُ عندمَا يكونُ شَبْعانًا فهوَ لا يعتدِى علَى غيرهِ. أمَّا النباتُ والشــجرُ فهمَا أكثر ودَاعة ومسَالمَة، لا ينتقــلُ أحدٌ منهمَا مِنْ مكَانــه.. وينغرسُ فِى الأرضِ منتظرًا ما تجودُ بهِ السماءُ من مطرٍ والأرضُ منْ غذاءٍ..

وهُو يقدِّمُ النفعَ للإنســانِ منْ طعامٍ ودوَاء ومنْ كسَــاء أيضًا. ألا يستخْرِجُونَ كثيرًا منَ الموَادِّ منْ لحاءِ الأشجَار التِى تُسَــاهم فِى حياةِ الإنسَان؟ ألاَ تدخلُ الأخشابُ فِى البناءِ والأثاثِ وَفِى كثيرٍ منَ الاســتخْدَاماتِ حتَّى الورَق الذِى نكتبُ عليْهِ؟

هذَا ما قرأهُ ســابقًا .. وما يعرفُه منْ تَحصيلهِ العِلمىِّ .. ثُم أنهُ لولاَ النباتُ والشجرُ لمَا كانَ الهوَاء الذِى يحيطُ بنَا صالحًا لأَنْ نَتَنَفَّسهُ.

تنهَّد عامر وقالَ:

- إنَ الطبيعةَ جميلةٌ وسَــخِيَّة .. لمــاذَا إذنْ نظلمهَا ونقسُو عليهَا؟

وبينمَا هُو فِى تَأملاته، لاحظَ نملةً صغيرةً تحاولُ أَنْ تســحبَ قطعةً مِنْ فتَاتِ الخُبْزِ فتعجزُ عنْ ذلكَ وتســقطُ منهَا .. مرَّتْ نملةٌ أَكْبر منْهَا احتكَّت بالنملَةِ الصَّغيرةِ ولعلهَا كلَّمتهَا ثــمَّ انطَلقتْ مُسْرِعَةً وعَادتْ ومعهَا نِمَالٌ كثِيرةٌ، ساعدَ بعضهَا النَّمْلةَ الصَّغيرة عَلى سحْب قطعَةِ الخبزِ، وانتَشَــرت الأخرياتُ باحثَــاتٍ أيضًا عنْ طعامٍ جديدٍ بروحٍ منَ التعاونِ مُدْهِشة.

قال عامرٌ فى نفسه: هَا هوَ النملُ يفوقُ البشرَ تعاونًا، فلماذَا نظلــمُ الحيوانَ فنقولُ إنهُ حيــوَانٌ ونقصِدُ أنهُ لاَ يفْهَم؟!

نهــضَ عامر مِنْ مكانهِ، وأخذَ يتمشَّــى فِى الغَابةِ .. وإذَا كلُّ شيءٍ يبوحُ لهُ بسرٍّ مِنَ الأسرَار.. النباتُ والشجرُ .. والزهرُ .. حتَّى الحشــرَات التِى تدبُّ عَلى الأرضِ، قالَ فِى نفسهِ:

- أنَا لنْ أكونَ عدوًّا للطَّبيعَة .. ولنْ أُسَاهمَ فِي الاعتداءِ عليْهَا .. سوفَ أنتسبُ إلى جمعيَّةِ أصدقَاء الطَّبيعةِ الَّتِي أعلنُوا عنهَا .. ولنْ أصْطادَ بعدَ اليومِ حتَّى لا تنقرضَ هَذهِ الأنواعُ منَ الطيورِ والحيوانَات الودِيعَة .. ولَنْ ... ولَنْ.

ثُم عـادَ إلى الكتابِ الـذِى بينَ يديْه، مندهشًا مِنَ المعلومَات الواردةِ فيهِ .. كانَ أكثرهَا يتوافقُ معَ أفكارهِ التِي انبعثتْ منهُ عفويًّا وتلقائيًّا، هَا هُوَ الكتابُ يتحدثُ عنْ نقْص الأكْسيجينَ، ثُقب الأُوزُون فِي الغلافِ الجَوِّى وذلكَ نتيجَة التلوثِ بسبب النفايَات وَالموادِّ الكيماويَّة والاحْترَاقَـات .. وهَا هوَ يُحذِّرُ مِنَ الإسـرَافِ فِي قَطْع الغابَـاتِ حتَّى لا تفقدَ الأرضُ الرئةَ التِي تتنفسُ منهَا، إضافةً إلـى انقرَاضِ أنواعٍ لا حَصْر لهَـا منَ الحيوَاناتِ وَالطُّيور.

ولاَ يلبـثُ الكتـابُ أن يفردَ فصلًا خَاصًّـا عنِ البحارِ وَتَدْميرِ الحيَاة فيهَا بكافَّة السُّبُل، وَما ينتجُ عنْ ذلكَ منْ مخاطرَ فُقْـدان الثرواتِ فيهَا منْ غذائيةٍ ونباتيةٍ وكنوزٍ

بحْريَّةٍ. وَخَاصَّة عندمَا تسـقطُ فِي البحَـار النفاياتُ أَوْ تتعرضُ لكوارثَ إشْعَاعيَّة أو نفطِيّة.

شـعرَ عامر بحُبٍّ كبيرٍ للطبيعَـة بجبالهَا وبحارهَا وغاباتهَا وحقولهَا وبسـاتينهَا وأنهارهَا فَأغلَقَ الكتابَ وهوَ يفكرُ أنهُ سَيُعبِّرُ عنْ هذَا الحُبِّ بالعملِ والممارسَةِ، فدخلَ إلـى الخيمَة وأخذَ عُلْبَـة الخرطُوشِ وقذفَ بهَا بعيدًا نحوَ الغابةِ، عندمَا سـمعَ صـوتَ فادى يُناديه: عامر .. عامرِ .. ماذَا تفعلُ؟

التفتَ فرأى صَدِيقهُ يُهَرْولُ نحوهُ لاهثًا وهوَ يَسْأله:

– لماذَا ترمِي ذَخِيرتـكَ هكذَا يَا عامرِ؟ هلْ جُنِنْتَ؟ ماذَا حصلَ معكَ فِي غِيَابنَا؟

قالَ عامر بهدوءٍ:

– أنَا لمْ أجنَّ بعدُ ... ولمْ يحصلْ معِي أَيُّ شيءٍ، سوَى أننِي فهمتُ أُمورًا كانتْ غَائبَة عَنْ ذِهْنِي.

قالَ فادى:

– مثلُ ماذَا يَا شَاطر .. يَا فَهِّيم؟

قالَ عامرُ بحزم:

- أرجوكَ .. لاً تسـخرْ مِنِّـى يَافادى .. هذهِ أفكَارِى ولَنْ أُحدثكَ عنهَا.

قالَ فادِى بجديَّةٍ:

- شيءٌ واحدٌ أُريدُ أنْ أَفْهمهُ لماذَا ترمِى بذَخِيرتكَ؟

قال عامر:

- مـنْ أجلِ أَنْ تأخذهَا أنـتَ .. خذهَا مادمتَ عثرت عليهَا.

وَقَلِبَ فادى شَفَتيْهِ اسْـتغرابًا، بينمَا وصلَت جماعةُ الصيَّادينَ فلزِمَ الصَّمْت.

الشجرة الغريبة

مَـا إنْ وصلَـت مجموعـةُ الصيادينَ وكلاَبهـم وهُم يصْخَبـونَ ويمرحُونَ، وقدْ أثقلـتْ أَيْدِيهم الخيوطُ التِى تنظمُ الفرائسَ، حتَّى انسحبَ عامر بصمْتٍ نحوَ الغابةِ، لاَ يُرِيدُ أنْ يكلِّمَ أحـدا.. وبصراحَة فهوَ غيرُ مُطْمئن أَنَّ

فادِى لــنْ يذيعَ قصةَ رميــهِ لعلبَة الخرطُـوش ومَا دَار بينهمَا منْ حديثٍ.

سَأله والدُه سؤالًا عابرًا:

- إلَى أينَ يا عامر؟

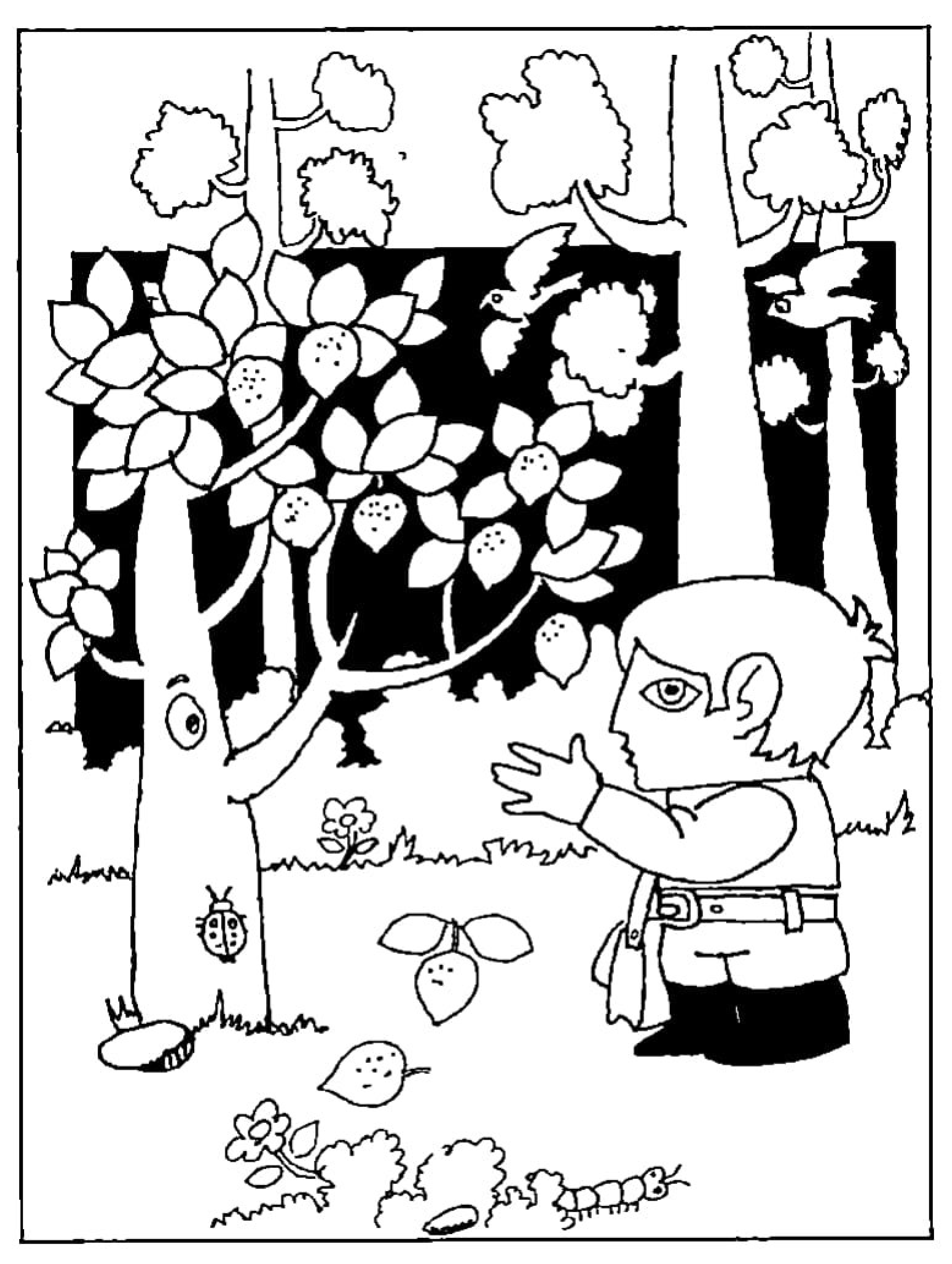
أجابَ عامر باخْتصَار:

- إلى الغَابةِ أتنشَّقُ هواءً منعشًا.

ضحكَ الأب وقالَ:

- وَكأنكَ لســتَ فيهَا هــذِه الغَابة .. عَلى أىِّ حالٍ لاَ تتأخرُ سنعدُّ الطّعامَ والشِّوَاءَ.

توغلَ عامر فِى الغابةِ مُطرقًا مُفكِّرًا .. لا يدرِى المسَافةَ التِى قطعهَا .. والشــمسُ بدأتْ تنسحبُ منْ فوقِ رؤُوسِ الأشــجَار، عندمَا توقفَ فَجْأةً حينمَا دَاستْ قدماهُ فوقَ كُراتٍ طريَّةٍ تنبَّةَ وَنظَر فإذَا بهِ أمامَ شجرةِ لَيْمونٍ عَجوزٍ يبسَت أكثرُ أغصانِهَا، أمَّا التِى بقيتْ خضْراء زَاهيةً فقدْ كانتْ مُحمَّلة بثمارٍ صفْراء تُشبه قَنَاديل كَهْربائية مُعلقة فِى سقفٍ مهْجور رفعَ قدميْه منْ فوقِ الثمار المعْطُوبةِ.



إلى الغابة أتنشق هواءً منعشًا.

ثمَّ التقطَ أُخرى، لمْ يتطرقْ إليهَا الفســادُ بلْ ظلّت يانعَةً مُمْتلئَةً بماءِ الحيَاة.

قالَ فِى نفسِهِ:

– شــجرةُ ليمونٍ فِى غَابةِ ليسَ فيهَا أشجَارٌ مُثمرةٌ؟ هذَا غريبٌ..

وكأنمَا سمعَ صوتًا يصدرُ عنِ الشجرةِ يقولُ: حقًّا إنهُ أمــرٌ غَريب .. وأنَا الشــجرةُ الغَريبــة، وَأنتَ هَلْ أنتَ غريبٌ أيضًا؟

قالَ عامر:

– بــلْ أنَا زائرُ للغَابَةِ .. أوْ عابرُ ســبيلٍ .. مَنِ الذِى زرعكِ فِى هذِه البقعَةِ المجهُولةِ ثُم تركَكِ لمَصيرِ البؤْسِ و اليأْسِ؟!

قالتِ الشجرةُ:

– لاَ أَدرى مَنِ الذِى زَرَعنِي .. وربمَا ســقطَتْ بذْرتى منْ فمِ إنســانِ مرَّ مِنْ هنَــا بالمصَادفة .. أو رماهَا منقَار عُصفُــورٍ طَائر .. أو ربمَا ســاقتهَا الريحُ أوْ نقلتهَا أقدامُ

حيوانٍ مَا.

المهمُّ أَننِي تفتحتُ عَلى الأزهارِ وَالثمَارِ وأنَا غريبةٌ وحيــدَة .. لاَ أَحدَ يعْتنِي بِي .. وَلا يقطفُ ثمارِي .. ولا يجددُ حيويَّتِي حتَّى أَوْشكتُ -كَما تَرَانى- علَى الجفَافِ ومنْ ثَمَّ الموْت.

قالَ عامر:

- وماذَا تُريديــنَ أنْ أفعلَ منْ أَجْلكِ الآنَ؟ هلْ أَغْرِسُ بعضَ بذورِكِ فِي التُّربةِ؟

ضحكَتِ الشجرةُ الغريبةُ بمرارةٍ وقَالت:

- كثيــرًا مَا قذفتَ بثمــارِى ذَاتِ البذورِ هنَا وهنَاكَ .. وبعيدًا أيضًا .. عسَــى أَنْ تنبتَ بِــذْرة وَاحِدة منهَا، وأشــاهدهَا شَــتلة فوقَ وجهِ الأرضِ. ولكنْ عبثًا .. ولقدْ توسَّــلْتُ إلى الريحِ.. والأمطارِ .. والشمسِ أنْ تُساعدنِي عَلى ذلكَ ولكنْ دونَ فائدةٍ.

قال عامر:

- والآنَ .. ما العملُ؟ أريدُ أَنْ أســاعدِك .. مَا أنا إلاَّ

زائــرُ عابرٌ كَما قلتُ لــكِ .. وجودِى فِى الغابةِ لنْ يكونَ لأكثر منْ يوم وَليلةٍ.

اهتزتْ شجرةُ الليمونِ فَأسْقطتْ مَا تبقَّى من ثمارهَا.. ورأى عامر ســائلًا يترقــرَقُ فوقَ جذعهَا كأنــهُ دُمُوع، قالَ:

– ماذَا تُريدينَ مِنِّى أَنْ أفْعلَ؟

قالتِ الشجرةُ:

– أريــد أولاً أنْ تجمعَ هذهِ الثمــارَ الجيدةَ الناضجةَ وتأخذهَا معكَ هديةً منىّ.. ربمَا تُفيدك.

قال عامر:

– وثَانيًا؟

قالت:

– بعدَ أنْ تضعهَا فى كيسكَ هذَا أريدُ أنْ تقطعَ أغْصَانِى كلَّهَا وتغرِســهَا فِى هذهِ الأرضِ لتكونَ يومًا مَا أشــجَار ليمونٍ جدَيدةٍ وَفتيةً.

قال عامر:

– ولمَـاذَا مَادُمْـتِ أنتِ لمْ تكُونِى مَسْـرورة فِى هذِه الغابَة؟

أجابَت الشجرةُ:

– صَحِيح .. ذلكَ لأننِى كنتُ وَحيدة وَغريبة، لكنَّنى وقدْ أصْبحتْ هذِه البقْعة موطِنى وفيهَا سَأدفنُ فبوُدِّى أنْ أتركَ ورائِى عَائلةً منْ شـجَرِ اللَّيمونِ، لنْ يشْـتكى أحدٌ منهُم الغُربة .. بل سيكونونَ سعدَاء معَ بعضِهم بعضًا.

اقتنـعَ عامر بمَا قالتهُ الشـجرةُ، وأخذَ يقـصُّ فروعهَا الخضْراء بعنَاية، ويغرسـهَا فِى التربةِ حولَ الشجرةِ كمَا لـوْ أنهُم صِغَار حولَ أمهم. تأكدَ مـنَ انغِراسِ الأغصَانِ فِى التربةِ وَسَـوَّى الترابَ جيدًا، ثُمَّ حملَ كيسَ الليمونِ، وبدأ بالانصرَافِ عندمَا سَمِعَ سُقُوطَ شيءٍ وَرَاءه فاذَا بجذْع الشَّجرةِ وقدِ انتزعتْ منهُ الفروعُ يقعُ فيقولُ عامرٌ فِى نفسِهِ:

– يالهَا منْ شـجرةٍ غريبَةٍ تعيسَـةٍ .. لكنهَا حَكيمَة عَلى أىِّ حَالٍ.

عندمَا عـادَ عامرُ إلى المخيَّم كانتْ جماعةُ الصيادينَ

مُتْعبَــةً، وفَادى يَتَّكِئُ عَلى ذرَاعِ أبيهِ ووجْهه شَــاحِبٌ وهوَ يسعلُ سعالاً خفِيفًا.

أســرعَ عامر نحوهُ بلهفةٍ، ولمَّا تأكــدَ أنهَا الحَرارةُ وربمَــا الحُمَّى، رمَــى ما بيديْهِ وَبادرَ إلــى إيصَاله إلى فراشِــهِ، ثمَّ وضعَ فوقهُ غطاءً سميكًا، وجلسَ صامتًا وقدِ احتضنَ يَدَىْ صَديقِه، وعندمَا تأكَّدَ أَنَّ الحرارةَ فى ارتفاعٍ خرجَ مِنَ الخيمةِ ليخبرَ وَالدَ فادِى فتعثَّرَ بكيسِ اللَّيمونِ وكأنمَا سمعَ ما قالتهُ الشجرةُ: خذْ هذِه الثمَارِ إنهَا ذَات فائدةٍ كغــذَاءٍ ودوَاءٍ، ورائحتهَا مُنْعشــةٌ، فلمْ يلبثْ أنْ قطعَ عددًا منَ الليمونِ عَلى شكلِ دَوائر، كمَا عَصَرَ بعضًا منهَا، ليقدمهَا إلى صديقهِ عَسىَ أنْ تنفعَهُ.

وبالفعــلِ مَا إن مضَى قســمٌ مــنَ الليلِ حتَّــى هبطَتِ الحــراراةُ وانتعــشَ فــادِى، وعندَ الصباحِ كانَ نشــيطًا مُعَافى، لكنهُ لمْ يشَــأْ أَنْ يرافــقَ مجموعةَ الصيادينَ فِى يوم صَيْدِهِم الأخِيرِ، لأنهُ يفضِّلُ أنْ يبقَى مَعَ رفيقهِ.

وهكذَا رَوَى عامــر لفادِى كلَّ ما جرَى معهُ، ومَا دارَ

منْ حــوارٍ بينهُ وبينَ الشــجرةِ الغَريبــة، وكانَ فادِى يتعجَّبُ جدًا ممَّا يَســمعُ، ولــولاَ الليمونَات المنقذَات واســتعدَاد عامر ليصطحبهُ حتَّى يرَى الشــجرةَ بنفسهِ لكانَ لهُ موقفٌ آخرُ هو عدمُ التَّصْديق.

وبمَا أنهُ أعلنَ لعامر أَنهُ ربمَا يذهبُ ليرَى الشجرةَ، فقدْ أرادَ عامــر أنْ يتجنبَ أَىَّ مفاجَأة كأنْ لاَ يســتطيعُ فادى سمَاع صوْتِ الشَّــجَرةِ، أَوْ إقَامة الحوَار معهَا، أَوْ ربمَا الشجَرة نفسهَا لنْ تقيمَ حوارًا معهُ هوَ وَعامر نفسهُ فكيفَ إذَا كانَ فَادى؟

فكَّر قليلًا ثم قَال:

– لاَ يَا صديقِى لنْ نـذهبَ إلى الشــجرةِ مَا الفائدةُ مِنْ ذلكَ؟ فالشجرةُ ماتتْ وانتـهَتْ، واللَّيمونات معنَا وتحتَ استخدامنَا.

ابتســمَ فادى ابتســامةً غَامضةً، وخرجَ مــنَ الخيمةِ ليغسلَ وجهـهُ إعلانًا عنْ شِفَائِهِ.

أشجار للزينة

لبثَ عامر فِي اليــوم الثالثِ للصَّيدِ معَ رفيقهِ فَادِى، ليعْتنِى بــهِ بعدَ نزلةِ البــردِ التِى أُصيــبَ بهَا، بينمَا انطلقــتْ جَمَاعةُ الصَّياديــنَ نحَو الرحلــةِ الأخيرةِ فى المرحَلةِ الأَخيرة.

وهكذَا استطَاع الرفيقِان أَنْ يتحدَّثَا طَويلًا، وبصَراحَة، وأنْ يكشفَ كلٌّ منهمَا أسْرارهُ للآخرِ. فَمِنْ أسرارِ فادِى، أنهُ بعــدَ أَنْ أفلحَ فِى إصابةِ الأَهدافِ فِى الصيدِ، قَرَّرَ أنْ ينضَمَّ إِلَى «جمعية الصيد»، وَسيكونُ أَصْغر عضوٍ فى الجمْعيَّة، وســتكونُ لهُ امتيــازَات كَأَنْ يُعْطى بُنْدقيــةً وذخيرةً وأنْ يحضرَ الاجتماعَات فِى النادِى، وربمَا جعلُوهُ دَليلًا.

قال عامر:

– وكيــفَ تطمحُ أنْ تكــونَ دليلًا، وقــدْ عجزْتَ عنِ العثورِ عَلى طريــقِ العودةِ عندمَا تُهْنَــا منذُ يوميْنِ فِى هذِه الغابَةِ؟

قال فادى بحنْق:

– سأكونَ قدْ درستُ الخرائطَ ومخططَ الطرقاتِ فِى المدينةِ، وكذلكَ سأتعرفُ جيدًا عَلى الغابةِ منْ خلالِ رحَلات صيدٍ مُتَكَرِّرَة.

لَمْ يَرُدّ عامر بلْ فكَّر ألاَّ يطلعَ فادى عَلى سرهِ، لولاَ أَنْ تعاهَدَا أَنْ يبوحَ كلٌّ منهمَا للآخر بمَا يهدفُ إليهِ فى المسْتقبل، فقَالَ باختصَار:

– أمَّا أنَا فسَأنضمُّ إلى جَمَاعة البيئةِ هذَا قرارِى الأَخِير.

وَلَمَّا استرسلَ فادى فِى تلوينِ أحلامهِ ووصْفِ نفسهِ كصيَّادٍ مَاهرٍ ينالُ الجوائزَ والأوسمَة، ويكسبُ مالاً كثيرًا بالإضَافةِ إلى متعة الصيدِ كَرياضةٍ، قَال عَامر:

– أراكَ قادرًا عَلى نْ تبقَى وحدكَ فِى الخيمةِ لتحلمَ كمَا تشَاء .. وأنا سأقومُ بجولةٍ فِى الغَابة.

قال فادى مَازحًا:

– لا تنسَ إذنْ أَنْ تتعرفَ إلى الطرقاتِ جيدًا فهذَا سَيَنفعكَ أيضًا.

واغتاظَ عامر وخرجَ إلى الغَابة حتَّى طرفهَا الجَنوبى الذِى يوصلهَا بالطَّريقِ الأَسْفلِتى للمدينَة. سَار وهوَ يتأملُ كلَّ شىءٍ فِى طريقهِ منْ أَشجار ونباتَات، ومَا يُصَادفه منْ حَيَوانات، فتوصَّل إلىَ نتيجةٍ هِىَ أنَّ الطبيعةَ وَديعَةٌ، ولَا تُؤذى البشرَ بلْ هُم الذينَ يؤذونهَا، وأصبحَ مُصممًا أكثر عَلى أَنْ يكونَ منْ جماعةِ البيئةِ، مَادامت الطبيعةُ تَمُدُّ البشرَ بكلِّ هذهِ الخَيْرَات، وَبالجمَالِ وَبتنقيَةِ الجوِّ أيضًا.

وفجأةً وجدَ عامر نفسهُ أمامَ بيتٍ صغيرٍ منَ الطُّوبِ الأحمرِ مثلَ وردَةٍ نَارية بينَ الأخضرِ منَ النباتِ وَالشَّجرِ، وهذَا البيتُ موصولٌ بصَوْبَةٍ زُجَاجيَّةٍ وَاسِعةٍ وَكبيرةٍ، يبرقُ تحتَ النورِ مثْل صَدَفة بلونِ اللُّؤلؤ، تردَّدَ فِى الدخولِ وَأوشكَ أَنْ يقفلَ راجعًا عندَما اسْتوقفهُ رجلٌ يبدُو أنهُ المسؤولُ عنِ المكَان، ودعَاه للدخولِ، كانَ الرجلُ يبتسمُ لهُ وكأنهُ يرحبُ بقُدومه.

دُهِش عامر ولمْ يلبثْ أَنْ دخلَ فازدَادت دهشتهُ لِمَا رَأَى: أَشجار منْ أنواع كثيرةٍ مَحْبوسة فِى أُصُصٍ

بَلاستيكية وفخَارية وزُجَاجية بمخْتلفِ الحُجُوم، زَاهِية خَضْراء لاَمِعَة. وَأعدادٍ هَائلةٍ منْ أنواعِ النباتَات والأزهَار والورُود، وَكثير منَ الأشجَار الصَّغيرة التِى تُشبه أشجَار الغَابة بفصائلهَا وَخاصة السرو وَالأرزَ والبلّوط، وعندمَا أطَالَ النظرَ إليهَا وكأنهُ يريدُ أنْ يلمسهَا قالَ الرجلُ:

أنتَ تزورُ مركزنَا للمرةِ الأُولَى عَلى مَا يبدُو. هَلْ أَعجبكَ؟

قال عامر:

– الحقيقةُ أَنَّ زيارتِى مُصَادَفَةً .. جئتُ معَ الصَّيادين فِى الغَابة.. وبينمَا أنَا أتجولُ وصلْتُ إلى هُنَا.

قال الرجلُ:

– عَلى أَيِّ حالٍ لَا بدّ أَنْ أطلعكَ عَلى مَا تودُّ الاطلاعَ عليْهِ.

قال عامر:

– أَهمُّ شيءٍ هىَ هذِه الأشجَار الصَّغِيرة .. إنهَا كاملةُ النموِّ .. مَا عُمرها؟

ضحكَ الرجلُ وقَال:

- هــذِه أشــجَار مُقزَّمة .. وَالتقزيم أســلوبٌ حديثٌ الآن وَنــادرٌ أيضًا، اســتخدمَ عَلــى الأشــجارِ المثْمرةِ والخضرَاوات، وبعدَ ذلكَ على أشــجَار الغَابات بهدفِ استخدَاماتٍ مُعينةٍ منهَا أشجَار الزينةِ.

قال عامر:

- وهلْ هذَا عكْس فرْط النموِّ؟

قال الرجلُ:

- تمامًا .. وهو يخضعُ لشروطٍ مُعينةٍ فِي الزرعِ والرَّيِّ والتقْليم وَفِي التحكُّم بالفسَــائل أَو الشتلاَت فِي تحْديدِ النُّمو. صحيحٌ أَن تسَــارع النموِّ وفرطِهِ أصبحَا معروفيْنِ وخاصَّة للاسْتِهلاَكِ، لكنَّ عمليَّةَ التقزيمِ أصْعب.

قال عامر:

- هــذَا عجيــبٌ أَنْ يحصلَ المرءُ علىَ شــجرةٍ كاملةٍ حقيقيَّةٍ فِي أَصِّيصٍ صَغيرٍ وهي شجرةٌ قزمَة.

قال الرجل:



ضحكَ الرجلُ وقَال: هذِه أشجَار مُقزّمة.

– وماذَا فِي ذلكَ أَلاَ يوجدُ أقزامٌ مِنَ البشَر؟

قالَ عامر:

– طبعًا يوجدُ.

قال الرجل:

– وما الفــرقُ، كلُّ ذلكَ ظَواهر طَبِيعيَّــة .. إنمَا هنَا يُوجَدُ تحكُّم.

قال عامر:

وهلْ أثمانُ هذِه الأشجَار عَادية كسَائرِ أشجَارِ الزِّينة؟

ضحكَ الرجلُ وقالَ:

– طبعًا لاَ .. لأنَّ العنايةَ بهَا أكبرُ بكثيرٍ، وقدْ تفشلُ عدةُ تجاربٍ لتنجحَ وَاحِدَة .. وتحتاجُ إِلى زمنٍ أطْول.

قالَ الرجلُ:

– يبدُو أَنَّكَ اهتممتَ بهذَا الأمرِ كثيرًا.

قال عامر:

– ليــسَ أننِي اهتممتُ بلْ أصبحــتُ مهمومًا، لماذَا لاَ نتركَ الطبيعةَ على حالهَا ولا نتدخَّل فيهَا؟

قال الرجل:

- هذَا موضوعٌ آخرُ واسعٌ وشديدُ التعقيدِ، وخلاصتهُ أنَّ الإنسـانَ مادامَ يسَـخِّرُ الطبيعةَ لخدمتـهِ فلماذَا لا يسـتعملُ كلَّ وَسَـائل العلـم وأرقاهَا؟ تَعَـالَ ... تعالَ لاطلعـكَ عَلى مَا تحتوى عَليَةَ الصُّوبةُ منْ أجْمل الزهور والورودِ وَالنبَاتات.. إنهَا لوحاتٌ رائعةٌ بألوانٍ مُبتكرةٍ جديدةٍ لمْ نعرفْهَا فِى الطَّبيعةِ.

وقامَا بجولةٍ وعامر فِى غايةِ الدهشَةِ، ولمَّا توقفَا عندَ الجناح الأكبرِ لأشجَار الزينةِ ممَّا أصبحَ مألوفًا فِى البيوتِ والمكَاتب، وَفِى كلِّ مكانٍ يعيشُ فيهِ الناسُ، أحسَّ بقيمةِ ما تمنحُهُ اشجارُ الزينةِ هذِه منْ متعةٍ وجمَالٍ، وَمِنْ تنقيَةٍ للجوِّ وتنظِيفِ الهوَاء، انحَنَى عَلى شُـجَيْرَاتٍ صَغِيرةٍ لا تـزالُ فِى كُومَـاتٍ مَحْدودَةٍ منَ التـرابِ وَملْفُوفة بعنَايةٍ بأورَاقٍ بلاَسْتيكية بيضَاء مِثْل أَطْفالٍ صغَارٍ لَا يزالونَ فِى المهْد، فداعبهَا بحنَانٍ وقَالَ الرجلُ:

- هـذِه للهدَايا. كمْ عددُ جماعـةِ الصَّيادينَ؟ لابدَّ أَنْ

نُهْدِيهم منهَا، لماذَا لاَ تدْعُوهم لزيارةِ الصُّوبَةِ؟

قال عامر:

- سَأفعلُ عندَ عودتنَا.

وانصرفَ باتجَاهِ الغابةِ وهوَ مطرقٌ يفكرُ عندمَا تذكَّر أَنَّ لديْهِ أسئلةً كثيرةً يريدُ أَنْ يوجههَا لصاحبِ الصُّوبةِ فقفلَ راجعًا. فَلَمْ يجدهُ فِي الصُّوْبَةِ، فاتجهَ نحوَ البيتِ المبْنِي بالطُّوب الأحمرِ الذى أثار اهتمَامه مُنْذُ البَدْءِ. فوجَدَ حَدِيقة صَغيرة جَميلة، مُنَسقة تنسيقًا بديعًا، ووجَدَ بابَ البيتِ مفتوحًا، ورغمَ ذلكَ قرعَ جرسَ البابِ ثمَّ دخلَ وَوصلَ إلى بهْو بسيطِ الأثاثِ لكنهُ مُزيَّن بأنوَاعِ الورودِ وَالزهور، وفيهِ مَكتبة كبيرةٌ تتصدرهُ. ومنْ بابٍ مُنْخفض دخلَ إلى غرفَةِ صاحب البيتِ الخَاصَّة:

هِيَ غُرفةٌ مَعيشةٍ أوْ نَوْم أوْ مكتبٍ بلْ هىَ مَزيجٌ مِنْ كلِّ ذلكَ وقفَ مُندهشًا أمَامَ شَجَرات أقزام بأحجام مختلفةٍ مُزَينة بالشرائطِ الملَونةِ والمصَابيح الكَهْربَائيةِ الصَّغيرةِ، وفِي وسطِ كلِّ شجرةٍ صُورةٌ لطفلٍ تسمرَّ فِي

مكانهِ عندمَا انتبهَ الرجلُ إليه فقالَ:

- هَا أنتَ فِى غُرفة أسْرارى، لا بأسَ أنتَ مثلَ ولدِى .. وأنتَ فَتى طيبٌ ومُسَالمٌ وَتحبُّ الطبيعةَ. هذهِ الشَّجرات فِى عُمر أولادِى، بَلْ كلُّ منهَا ولدٌ مِنْ أوْلاَدى.. وَصورتهُ فِى قلبهَا. لقدْ زَرَعتهَا واحِدةً بعدَ الأُخرى كُلَّمَا رُزقْتُ بولدٍ أوْ بنتٍ. ماذَا أقولُ؟ كُلهم أولاَدى ما عدَا ليْلى. انظرْ كمْ هىَ جَميلة مثْل مَلاَك. لكنِنى عندمَا فقدتهُم جميعًا دفعةً واحدةً إذْ غَرَقُوا فِى مركبٍ معَ أُمهم، قَرَّرتُ بعدَ أنْ هجرتُ البحرَ واسْتوطنتُ الغابةَ أنْ أَعملَ عَلى تَقْزيم هذِه الأشجَار حتَّى تظلَّ صَغِيرة بلْ طِفْلة. وَهِىَ تُذَكرنِى باسْتمرارٍ أننِى معَ أولاَدى وَخَاصَّة عندمَا أعتنِى بهَا وأسامرهَا فِى الليلِ تحتَ ضوءِ القمرِ ومعَ بريق النُّجوم. كَمْ جَعَلتنى هِوَايتى هذِه فِى الصُّوبَةِ أنْسى آلامِى وَأحْزَانى .. بلْ أشعرُ أحيانًا أننِى سَعِيد. هلْ هناكَ ما هُوَ أسْخَى وأجملَ وأكثرَ عطاءً منَ الطبيعةِ؟ إنَّ الطبيعةَ وحدهَا هىَ التِى تشعرنَا بالحياةِ والبقاءِ والخلُودِ أيضًا.

أَحــسَّ عامر بحبٍّ كبيرٍ نحوَ هــذَا الرجلِ، وكانَ قَدْ أَوشـكَ أَنْ يعتبرهُ قاســيًا يتحكَّمُ فِى الطبيعةِ وَيتلاعبُ بهَا، وأنهُ ربمَا يقصدُ الربحَ مِن وراءِ مشْروعهِ هذَا.

سألهُ باهتمَام شديدٍ:

– إذنْ فأنتَ تعيشُ وحدكَ هنَا.

قَال الرجلُ:

– لا .. لســتُ وحْــدِى ومعِــى كُل هُــؤلاء الأولاَد .. أقصدُ أشــجَارى وَنَبَاتاتى التِى تحتاجُ مِنِّى إلىَ الرعايةِ والعنَايــة بلْ إلىَ الحنَان. هلْ تعرفُ أنّ النباتَات تحسُّ وتشعرُ كالبشَرِ، وَترسلُ أمواجًا كَهْربائيةً، إذَا ما عَطَفَ عليهَا أحدٌ أوْ سَقَاهَا؟

وَنَباتات أخرى تُرســلُ أمواجًا كأنهَــا صَاعقة إذا مَا عُومِلَت بِقَسْــوةٍ أَوْ جَرَتْ أمامهَــا حوادثُ قتلٍ أَوعنفٍ، هذَا مَا رصدهُ العلماءُ بواسطَة أجهزةٍ حَسَّاسةٍ للغَاية.

ليسَ هذَا فقطْ، بلْ إنَّ النباتَات والأشجَار تتألمُ حينمَا تمــرضُ وقَدْ تقررُ الموتَ أَوْ الانتِحَار، فلاَ يُجْدى معهَا

أيُّ دَوَاء. ثُم إنَّ العلماءَ أثبتوُا أنَّ جذُور الأشجَار تتخَاطب فيمَا بينهَا تحتَ الأرضِ، ولهذَا تتركُ مَسَافات بينَ جِذْرٍ وَآخرَ تحقيقًا لهذَا التَّخَاطُبِ.

قال عامر:

– أمُور عجِيبةٌ يا سيدِى .. أينَ أستطيعُ أَنْ أعثرَ عَلى معْلُوماتٍ كهذِهِ؟

قال الرجل:

– مَـا عليـكَ إلاَّ أَنْ تتابـعَ آخرَ الكشـوفَاتِ العِلْميَّةِ التِّـى تتعلَّقُ بالطَّبيعةِ، وهناكَ أفـلامٌ كثيرةٌ حولَ هذِه الموضُوعَـات، ولوْ كانَ لديكَ وقتُ لاَ طلعتكَ عَلى أحدثِ المجَلاَّت الزراعيَّةِ وَلشهدْنَا بعضَ الأَفلام.

نظرَ عامر إلى سَاعتهِ وتذكَّر رَفيقَهُ المريضَ فادى فقَالَ:

– سأعودُ مرَّةً أُخْرَى .. بَلْ لا بدَّ أَنْ أزوركَ باستمرارٍ فِى أوقاتِ العطْلةِ الصَّيفيةِ أوِ الإجَازات.

ثُم ودَّعَهُ بحرَارةٍ وهو يهمِسُ لنفسِـهِ: سَأصبحُ عَالِمَ نبَاتٍ .. سأصبحُ عَالِمَ نبَاتٍ...

هدايا ثمينة

فــورَ انتهَاء الصيدِ فِــى اليومِ الثَّالث مســاءً كانَ الجميعُ مشغُولين بحَزْم أمتعَتِهم وَخِيَامهم، وهُم يصخَبونَ ويضحكُونَ، فقدْ كانتْ رحلةٌ موفقةٌ وممتعةٌ لهُم، وكانَ صيدُهم وفيرًا.

وَنشــطَ فادى بعدَ وَعْكتهِ الصِّحيَّة البســيطةِ ليساعدَ والــدهُ فِى وضْــع الصَّيْد فِــى الثلاجَةِ التِــى ثُبتت فوقَ السيَّارةِ، وهوَ يقُولُ:

- مَا اصْطدتهُ أنَا فهُوَ لِى، ولكنْ ألَنْ تُعطينى عددًا مِنْ هذِه الطِّيور وَالأَرانب كهديَّةٍ؟

لنْ آخذَ الكثيرَ ثَلاثة أرانب بيضَاء، وَهذيْنِ الطَّائريْنِ الغريبيْنِ، سَأدبغُ جُلُودَ الأرانبِ لأزيِّنَ بهَا جدَارَ غُرفتِى إلى جَانب البندقيةِ، أمَّــا الطائرانِ فعنْ طريقِ التَّحْنيطِ يُصبحَان تُحْفتيْن رَائِعَتيْنِ.

قالَ الأَبُ مُمَازحًا:

- وَمَا اصْطدتهُ أنتَ ماذَا ستفعلُ بهِ؟

أجاب فادى بنْبرَةٍ سَريعَةٍ:

– سأقدمهُ هدايَا إلى أقربَائِي وَرفَاقِي وَجيرَانِي. كلٌّ منهُم ينتَقِي هَديَّته، وَلَوْ أرادَ أحدٌ أنْ يأخذَ الجِلدَ دونَ اللَّحم سيكونُ هذَا أفْضل .. أليَست هذِه هدَايا ثَمِينة عَلى كُلِّ حَال؟

ثُمَّ أضَاف:

–لابـدَّ أنهَا سَتُشـجعُ حَامـد وعَابد وَسـليم عَلى أنْ يتدرَّبُوا عَلى الصَّيْدِ ليصبِحُوا مَاهِرينَ مِثْلِي.

قالَ الأَب:

– أعتقـدُ أَنَّ تجربتـكَ هذِه فى الصيـدِ نَاقِصَة، فلقدْ تخلَّفتَ عنِ المشـاركةِ فِي اليوميْنِ الأولُ وَالثَّالث، ومعَ هذَا سَأعطيكَ مَا تطلبُ مِنْ حَصِيلةِ الصيدِ إنَّمَا بشرْطٍ...

قالَ فادِى بلَهْفَةٍ:

– ومَا هذَا الشَّرط؟

همسَ الأَبُ:

– إذَنْ انتبهْ، بشرْطِ ألاَّ تتفاخرَ وتدَّعِى أنكَ اصْطدتـهَا جميعًا. وضحكَا.

أَمــاً عامر فقدْ كانَ يجمعُ أغراضهُ بِبُطْءٍ، وأبوهُ صَامت ينظفُ بندقيتهُ بعــدَ أَنْ تهيَّأَ للعودَةِ.. اقتربَ عامر مِنْ وَالدِهِ، وقدْ أَحسَّ أنهُ مذنبٌ بطريقةٍ مَا، وقالَ:

- أَخْشَى أَنْ أَكونَ سَبَّبتُ لكَ ولرفاقكَ ازعاجًا يَا أَبِى، بعدم مُشَــاركتى فِى الصَّيْد، لكنهَا كانتْ تجربةً جيدةً بالنسَــبةِ لِى، فقدِ اكتشفتُ أننِى لاَ أصلحُ أَنْ أكونَ صيَّادًا مَاهرًا، ثُمَّ أننِى عدَّلتُ عَنْ حبِّ الصَّيدِ.

قال الأبُ:

- أنَــا لمْ أَنزعِــج بالطبع فأنتَ وَلَــدِى .. لكنْ رفاقِى لاَمونِى باصْطحابى إياكَ للصَّيد مَادمتَ لنْ تصطادَ شيئًا. هَــا هو فَادى رغمَ أنهُ تاهَ معكَ يومًا، ومرِضَ يومًا آخر، فقــدِ اصطَاد عــددًا لا بأسَ بــهِ مِنَ العصافيــرِ والطيورِ والأرانبِ، وبرهنَ على الأقلِّ أنهُ صَيَّاد.

قالَ عامر:

- معــكَ حقٌّ يَا أَبِى .. لكنَّ الأمرَ لــمْ يكنْ بيدِى، إذْ وجدتُّ نفْسِــى فجأةً بعدَ جُرح الغزالةِ الرقيقةِ الجميلةِ

أنَّنِى غيرُ قادرٍ عَلى الصَّيدِ.

قال الأَبُ:

- هذَا شأنكَ ولنْ أُشجعكَ بعدَ اليومِ عَلى الصيدِ.

اقتربَ عامر منْ أبيهِ وَعَانقهُ قائلًا:

- لكنكَ ستشجعُنِى عَلى هوايَةٍ أُخرَى يَا أَبِى .. ولقدْ بدأتُ بهَا منذُ اليوم.

قالَ الأَب مُستغربًا:

- هوايــةٌ أُخرى؟ مثلُ ماذَا؟ وهــلْ تظْهرُ هوايةٌ بينَ يومٍ وليْلةٍ؟

جلــسَ عامر إلى جانــبِ أبيهِ، وأخــرجَ دفعةً واحدةً مُحتويَات حَقِيبته القُماشِــيَّةِ، فإذَا فيهَا نَمَاذج مِنْ أوراقِ الشجَر، وبعضُ النباتَات، التِى رُصَّتْ بعِنَايةٍ بينَ أوْراقٍ، وثمارٍ منْ أشَــجارِ الغابةِ لا تصلحُ طبعًــا للأَكْلِ منَ البلُّوطِ والصُّنوبر، إضافةً إلى أغصَانٍ مُتنوعةٍ منْ بعضِ الأشجَار.

وعندمَــا ظَهَرت الورقَــةُ التِى أَخذهَا مِنَ النَّاســكِ، عاملهَا برفْقٍ شَدِيدٍ قائلاً:

- هذهِ تعرفهَا يَا أَبِي .. لَقَدِ اعتبرتهَا فأْلًا حَسَنًا.
قالَ الأَبُ:
- حسنًا .. وما هَذِه الأشياءُ الأُخرى؟
أَجَابَ عامر:
- إنهَا الموَاد الأُولى التِي سَأتابعُ معلُوماتي عنهَا، وربمَا تجَاربي .. تستطيعُ أَنْ تعتبرهَا خَارِطَةَ الغابةِ ولوْ أنهَا خَارطة منْ نوعٍ آخرَ.
ابتسمَ الأَبُ وقال:
- وماذَا سَتفيدكَ هذِه المتابعَات؟ ثُم إنهَا ليسَتْ رَياضة، بينمَا الصيدُ رِياضة وَفَائدِة؟
قالَ عامر:
- سأكونُ فِي المستقبلِ عَالِمُ نباتٍ .. وَهذِه هيَ البذُورُ التِي ستكونُ مجَال تخصُّصِي فِي المْستقبلِ.
ضحكَ الأَبُ وقالَ:
- هكذَا إذَنْ .. دفعَة واحدَة .. هوَاية وتخصُّص.
قال عامر دونَ أَنْ يلحظَ نبرةَ المِزَاح منْ والدهِ:

– أليَس هذَا بالأمرِ الجَلَلِ يا أبِى أنْ يعثرَ أحدُنا عَلى طريقهِ فجأةً فيطْمئن إليهِ وَيَسير فيهِ؟

قال الأبُ مُستفسرًا:

– ومتَـــى تمَّ كلُّ ذلــكَ؟ فِى هذَا اليومِ الــذِى تَجوَّلت أثناءهُ فِى الغَابةِ؟

قَاطعَهُ عامر بلَهْفَةٍ:

– تســتطيعُ أنْ تقــولَ ذلكَ .. اعتبارًا مــنْ هذَا اليومِ بالتَّحِديدِ.

ثُم أخذَ يروِى لوالدهِ بحمَاسةٍ شديدةٍ كلَّ ماجرَى معهُ فِى الغابةِ، وعنِ الصُّوبَـــةِ وَصَاحبهَا، وحتَّى عمَّا حصلَ بينهُ وبينَ شَجرةِ اللَّيمُونِ.

اســتغربَ الأبُ مَا سمعهُ منْ ابنهِ، وأخذَ الأمرَ مأخذَ الجدِّ، فوضعَ البندقيةَ عَلى كتفهِ وقالَ:

– وهَــلْ نســتطيعُ أنْ نــزورَ تلــكَ الصُوبـــةَ؟ أنَا لمْ ألاحظهَـــا رغْم مُـــرُورِى تِكرارًا منْ هَـــذا الطَّريق، يبدُو أنَّهَا قدِ اخْتَبَأَت بينَ الأشجَارِ.

قال عامر:

- بِالطَّبــعِ تســتطيعُ أَنْ تــزورهُ، بَلْ إنَّ الرجــلَ دعَاكُم لزيارتهِ، وليقدمَ إليكُم هدايَا منَ النباتَات وَأشجَارِ الزينَة.

اقتربَ فادِى بسرعةٍ منْ عامر، وقدْ سمعَ كلمةَ هدايَا مُستفسرًا: هدايَا؟ أىُّ هدايَا؟ هدايَا تُقدَّمُ لنَا؟ هذَا عظِيمٌ .. سَأضيفهَا إلى الهدَايَا التِى هَيَّأْتهَا.

سألَ عامر:

- وهلْ هيأتَ هدايَا؟ مَا هِىَ؟

قال فادى وهو يضحكُ:

- هدايَا منَ الصَّيد، وقدْ أضافَ لِى والدِى فوقهَا ستَّةً أيضًا.

وأخــذَ يعدُّ علىَ أصابعــهِ ليجمعَ رقمًــا مجهولًا منْ عَامر، ثُمَّ قالَ:

- وأنتَ ما هِىَ هَدَاياك؟ قُلْ لِى .. هَلْ سَتُعطِى رفاقكَ غصنًا منْ هذهِ الأغصَان أَوْ ليمونةً مثلًا؟

انزعجَ عَامر للهْجَةِ السخْرية وقالَ:

- الاغصانُ وسَـائر هذهِ الأشـيَاء هِي لِـي لنْ أهديهَا لأحـدٍ، ثُم إنَّ الليمونَ قدْ نَفَـدَ أَمَا صنعتَ لكَ فيمَا تبقَّى منهُ شرابًا هذَا الصَّباح أمْ أنكَ نَسِيتَ؟

لامَ فادى نفسهُ فاقتربَ منْ عامر معتذرًا وعانقهُ قائلًا:

- أنتَ لمْ تَصْطد شيئًا يَا صَدِيقى ..لا تَحزَنْ سأُشرِكُكَ فِى الهدايَا.

لكـنَّ عامر انسـحبَ منـهُ بهـدوءٍ، وَانحنَى يجمعُ أغراضَهُ بينمَا سبقهُ والدهُ نحْو السَّيارات.

قال فادِى جادًّا:

- أنَـا أَعتذِرُ يَا عَامر إنْ كنتُ جرحتُ شُـعوركَ.. لمْ يكنْ قَصْدِى .. كنتُ أمزحُ.

قالَ عامر:

- وبالمناسبةِ أنَا لا أعتبرُ أنكَ تقدمُ هدايَا للآخرينَ، بلْ تريدُ أَنْ تبرهنَ لهُم أنكَ اصطدتَّ وكفَى.

أطرقَ فادى مُفكرًا وقالَ:

- ربمَا كانَ هذَا صحيحًا، لكننِى لَنْ أُقدم لهمْ إلاَّ ممَّا

اصْطدتهُ أَنَا.

قال عامر:

- أعنِـــى أنكَ لا تزالُ تحتاجُ إلـــى البرهَان .. أَمَّا أنَا فإننِى أريدُ أَنْ أُبرهنَ لنفْسِى فقطْ شيئًا وليسَ لغيْرِى.

قالَ فادِى:

- ربمَا .. ولكنْ لكلٍّ منَّا رَأيه.

وأضافَ بصوتٍ خَافتٍ كأنمَا يُخاطبُ نفسَهُ:

لكلِّ امتحَانٍ برهَان .. وامتحَانِى هُو غيرُ امتحَانك.

وحينمَا توجهَتْ قافلةُ السَّيارات عَائدةً كانتْ سيارةُ عامر ووالدهِ فِى المقدمةِ حتَّى يتوقَّفوا عندَ مركز الصُّوبَةِ، وكلٌّ منَ الطرفيْنِ صَامتٌ، الأَبُ وَابنُهُ، قالَ الأَبُ:

- بمَا تفكرُ يا عامر؟ أمْ أنكَ منزعجٌ مِنْ فادى؟

قالَ عامر:

- فادِى صدِيقى إلاَّ أنهُ لاَ يفهمُنِى.

قال الأَبُ:

- الصداقــةُ كنزٌ ثمينٌ ..يجــبُ أَلَّا تُفرِّطَــا فيهِ، إنَّ

الصداقةَ سَتُعيدُ التفَاهُم بينكُمَا.

قال عامر:

– أقصدُ يَا أَبِى إنهُ لمْ يفهمْ معنَى انصِرَافى عنِ الصَّيد لهوَايةٍ أُخرى.

قالَ الأبُ:

سوفَ يفعلُ عندمَا تبرهنُ لهُ عَلى هوايتكَ أو تعلنُ هوايتكَ عَنْ نفِسهَا.

قالَ عامر:

– سوفَ يحصلُ ذلكَ معَ فادِى ومعَ الجميع.

وعندمَا وصلُوا إلى الصُّوبةِ كانَ صَاحب المركز كأنمَا ينتظرهُم، أَسْرعَ لاسْتقبالهم ثُم رحَّب بِهمْ وَأَطْلَعَهم عَلى أقسَامِ الصُّوبةِ، وشرحَ لهُم كلَّ شيءٍ، فأبدُوا إعجَابهم كمَا أبْدوا اسْتِغْرَابهم لقصَّةِ الأشجَار المقزَّمَةِ ولطرقِ التَّهْجينِ للنبَاتِ والشَّجر، وكذلكَ التَّطْعيم.

وَقبلَ أنْ يُودعَهم صاحبُ المركز قدَّمَ لكلٍّ مِنْهم واحدةً مِنْ تلكَ الشَّتلاَت الملْفوفَةِ بعنَايةٍ حسبَ ذوقهِ أَوِ

اختيارِهِ لنوعِ شجَرِ الزينةِ، وبالمقابِل قدّمَ لهُ الصيادونَ بعضًا منَ الصيدِ الذِى مَعَهُم.

وبينمَا هُم يُغادرونَ نَادى صَاحب المركزِ صَديقَهُ عامر، وسَــار أمامهُ فلحقَ بهمَا فادِى ودخَلُــوا المنزلَ جَمِيعًا، واجتــازُوا البهوَ، لكنْ عندمَا وصلُــوا إلى الغُرفة الخاصَّة بصاحبِ المركزِ، أشارَ الرجلُ إليَ فادى أنْ يتوقَّفَ مكانهُ، ثــمَّ دخلَ معَ عامر لدقائقَ قليلـــةٍ وفادى حَائِر، ثُمَّ خرجَا وعَامر يضحكُ والرجلُ يضعُ يدهُ عَلى كتفهِ ويقُولُ:

– هذهِ هَديَّتِي لكَ يا عامر أرجُو أنْ تكونَ فاتحةَ خيْرٍ لهوايتكَ الجديدَة، ولدراستكَ فِي المستقبلِ، ولا تتردَّدْ أَنْ تَزُورَنِي متَى شِئْتَ.

ونظرَ فادى بدهْشَـــةٍ فرأَى كتابًا ضخمًا بصورٍ مُلونَةٍ، وورقٍ فاخرٍ حولَ علم النباتِ والغَابات.

حقًّا إنهَا هَدِيةٌ ثَمِينَةٌ بلْ هَديةُ الهدَايا.

هــذَا ما علَّق عليهِ الجميعُ، ومَــا كانَ باعثًا عَلى فرحٍ غَامرٍ عندَ عامر.